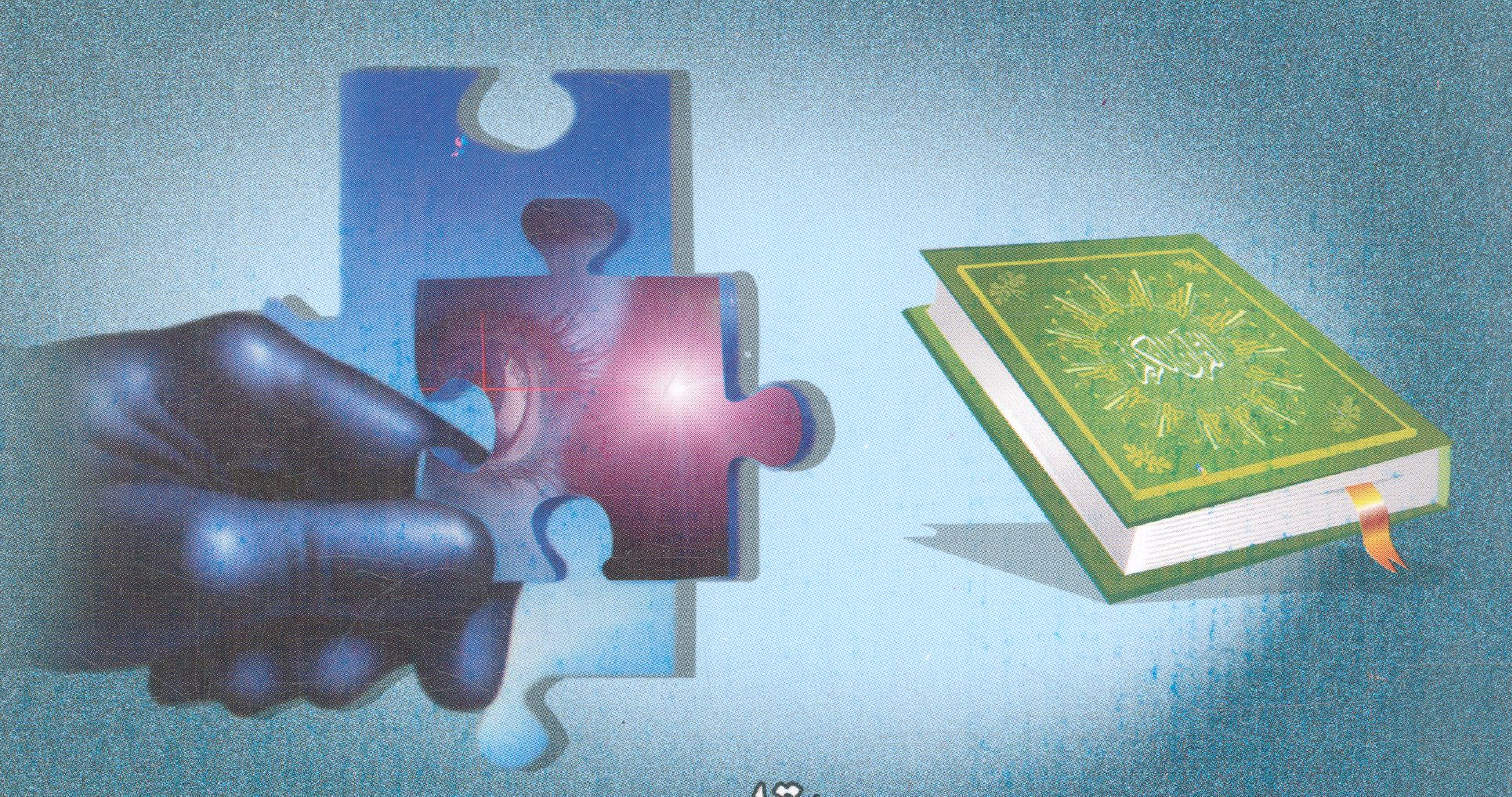
(ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً)

تحريم الارهاب في صحيح السنة والكتاب



بقلم

محمد محمود عبدالله

مدرس علوم القرآن بالأزهر

مركز الاسكندرية للكتاب

٤٦ ش الدكتور مصطفى مشرفة

الأزاريطة ت ٤٨٤٦٥٠٨

(ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما)

تحريم الارهاب

فى

صحيح السنة والكتاب

بقلم

محمد محمود عبد اللّه

مدرس علوم القرآن بالأزهر

٢٠٠٩

مركز الإسكندرية للكتاب

٤٦ ش د. مصطفى مشرفة ــ سوتير سابقاً

تليفون وفاكس ٤٨٤٦٥٠٨ الإسكندرية

رقم الإيداع :	٢٠٠٨/٩٣٢٦
الترقيم الدولي :	I.S.B.N 977-388-219-5

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه﴾٣٠:الحج.

وأعظم الحرمات ترويع الآمنين وقتل المعصومين وإيذاء المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا بغيا وعدوانا قال الله جل جلاله ﴿والذين يؤذن المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا ﴾٥٨:الأحزاب .

٢- وقال رسول الله ﷺ (من حمل علينا السلاح فليس منا)البخاري ومسلم. وقال نبي الرحمة ﷺ(من حمل السلاح على أمتي فليس من أمتى)متفق عليه . فبماذا يجيب الذين يخرجون على المسلمين بالسيارات المفخخة والأحزمة الناسفة والمتفجرات لقتل الأبرياء العزل ونسف ممتلكاتهم بوحشية وهمجية وعشوائية دون تمييز يبطشون بالخلق ظلما وعدوانا بغير حق ويوجهون أسلحتهم ورشاشاتهم إلى جنود الحكومات المسلمة وهم أهل قبلة وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل المصلين فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (إنى نهيت عن قتل المصلين) الإمام احمد والحاكم في المستدرك.

٣-إلى الغاضبين والمعارضين أنصح إليهم من يختلف مع الحاكم عليه أن يحاوره فإن أفضل شى هو الحوار وليس التفجيرات والخراب والدمار، ولا ترويع الآمنين ولاقتل المعصومين مسلمين وغير مسلمين لقول الحق جل وعلا ﴿ أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ﴾٣٢:المائدة.

٤-على السادة الحكام نشر العدل والوئام ورفع الظلم عن المظلومين والقهر عن المقـــهورين ومحاورة الغاضـــبين والعمــل على إزالة أسباب غضبهم بمقتضى الرحمة الإلهية واللين للذان عامل بهما النبى ﷺ رعيته فى بدء إنشاء دولته دل على ذلك قول الحـق جـل وعلا ﴿ فبما رحمـة من الله لنـت لهــم ولو كنت فظا غليظ القلب لنفضــوا من حــولك فاعـف عنــهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ﴾ ١٥٩:آل عمران .

وكذا من الشمائل المحمدية العفو والصفح عن المسيء والإستغفار للمذنب والمشورة للحكماء منهم ، ومن الثابت أن العدل هو أساس الأمن والأمان فى الوجود وهو سـبب الـهداية إلى طريق الخالق المعبود الله جل جلاله لقوله تعالى ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ ٨٢:الأنعام .

ولذلك لم نسمع في أى أثر أن الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ مشى بحراسة قط ولذا عندما جاء رسول كسرى ، وجده نائما تحت شجرة فتعجب وقال أمير دولة الإسلام نائم وليس عليه حراسة ، ثم قال كلمته المشهورة (حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر) وكان ذلك سبب إسلامه فشهد أن(لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) وقـد قـال بعـض الحكمـاء (العـدل يجمع القلوب والظلم من أبشع الذنوب) .

وقد أرسل أحد ولاة عمر بن عبد العزيز ﷺ، يطلب منه مالا ليبنى به سورا حول الولاية فأرسل إليه عمر قوله (وماذا تنفع الأسوار حصّنها بالعـدل ونقى طريقها من الظـلم) وقد رسل عمر بن عبد العزيز ﷺإلى أحد ولاته (إذا دعتك قدرتـك على ظلـم النـاس فتـذكر قـدرة الله علـيك) .

٥- أما الذين يتحايلون تحت أى شعار وتحت أى مسمى ويقاتلون ويتناحرون للإستيلاء على الحكم والسلطة عنوة على دماء البشر عليهم أن يعلموا أن الملك لله الواحد القهار جل جلاله يهبه لمن يشاء وعليهم أن يمعنوا النظر فى قول الحق جل وعلا ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير ﴾ ٢٦ :آل عمران . إذن القضية ليست كل من يتزعم فرقة أو جماعة ويتناحر ويتنافس حتى وإن وصل الأمر إلى القتال بين الفرقاء والمتناحرون للوصول إلى السلطة والحكم عنوة ،عليهم أن يعلموا أن الملك لله وحده عز وجل يتصرف فيه كيف يشاء يهبه من يشاء وينزعه ممن يشاء وليس بمشيئة العبيد وإنما هو اختيار المبدىء المعيد، وعليهم أن يعلموا أن الله تبارك وتعالى خلق كل نسمة فى الوجود (أى الأرواح يوم أن كانت نسمات فى عالم الغيب قبل الأجساد) وخلق عملها معها مقترنا بها لقول الحق جل وعلا ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾

فإذا ما علموا هذه الحقيقة أن الله تبارك وتعالى خلق كل نسمة وعملها تحقق لهم صلاح البال وسعادة العيش بالرضا بما قسم الله لكل نفس وليتذكروا قول الحق جل وعلا ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون ﴾ ٣٢:الزخرف .

وصلاح البال لا يباع فى الصيدلية ولا عند البقال وإنما منبعه الإيمان بالله الكبير المتعال والعمل الصالح هو أصل تحقيق الآمال وكذا الإيمان بما نزّل على محمد ﷺ كريم الفعال نالوا كفارة لسيئاتهم وصلاحا لبالهم دل على ذلك قول الحق جل جلاله ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ﴾ ٢ : محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الكريم الجواد .خلق الخلق وأحصى العباد. في الحياة وفى الميعاد. وأنزل سبحانه فى محكم آياته على خير العباد محمد رسول الله ﷺ قول الحق جل جلاله ﴿إن كل من في السموات والأرض إلا ءاتى الرحمن عبدا،لقد أحصاهم وعدهم عدا،وكلهم ءاتيه يوم القيامة فردا ﴾ ٩٣ : ٩٥ مريم.

وقد توعد الحق سبحانه المجرمين منهم بسوء الحساب وأشد العذاب بالخلود فى جهنم وبئس المهاد لا موت فيها ولا حياة ولا سبيل للنجاة فقال جل جلاله ﴿إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحي﴾٧٤ :سورة طه.

كما توعد الحق جل شأنه المصلحين منهم بعلا الدرجات والخلود في نعيم الجنات بقوله عز شأنه ﴿ ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى. جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى﴾٧٥ : ٧٦ سورة طه.

(تزكى) أى تطهر من الخطايا وترفع عن المعاصي والدنايا.. .

ومما يجزع منه الخارجون على حدود الله عز وجل :الجاحدون لسنة رسول الله ﷺ :مدى دقة الحق جل جلاله فى حصر أفعال العباد وكيفية الجزاء عليها بالثوب والعقاب . ومدى دقة مقتضى العدل الإلهى في الإتيان بصغائر الخطايا مهما تضائل حجمها وتناهت فى صغرها فى قوله عز شأنه ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾٤٧ : سورة الأنبياء.

قد قرر التنزيل حقيقة وضع كتاب كل إنسان يوم القيامة وفيه بيان دقة الحصر الإلهى
ل أعماله صغيرها وكبيرها فى قول الحق عز ثناؤه ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين
شفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها
وجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ﴾

جاء في الهدى النبوي الشريف ما يؤكد هذا عن أبى هريرة ﷺ: أن رسول
ه ﷺ: قال(لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقتاد للشاة الجلحاء من الشاة
قرناء) أخرجه الإمام مسلم .

لقد قرر التنزيل أن الله تبارك وتعالى خلق العباد لعبادته جل شأنه. ولعمارة الأرض
ليس لخرابها بالفساد والبطش بالخلق والعنف والتدمير والخراب والقتل للأبرياء بغير
حق في قوله جل وعلا: (يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض
استعمركم فيها)٦١: سورة هود.

ن الحكمة من إيجاد الخلق هي عبادة الخالق جل وعلا وعمارة الأرض وهى الغاية
كبرى والحكمة البالغة في إيجاد الخلق لقول الحق عز شأنه﴿وما خلقت الجن والإنس
لا ليعبدون ﴾ وإذا ما عرف الخارجون على الإسلام وعلى منهج الله العظيم وعلى تعاليم
سوله الكريم ﷺ وهديه القويم،أن الحكمة من إيجادهم في هذه الحياة هي للعبادة
الإعمار وليس للخراب والقتل والدمار فبماذا يجيب هؤلاء المنسوبون إلى
لإسلام ظلماً والمحسوبون عليه زوراً على أحاديث رسول الله ﷺ التي رواها الصحابة
كرام رضوان الله عليهم أجمعين والتي تبين تحريم النبي ﷺ لهذه الأفعال وتبرأته من
رتكبيها: فعن أبى هريرة ﷺأن رسول الله ﷺ قال(من خرج من الطاعة وفارق الجماعة
لعصبية ويقاتل للعصبية فليس من أمتي، ومن خرج من أمتي على أمتي يضرب

بارها وفاجر ها ولا يتحاشا مؤمنها ولا يفي بذي عهد فليس منى) أخرجه الإمام مسلم.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال (من حمل علينا السلاح فليس منا) الإمام البخاري ومسلم .

فبماذا يجيب الخارجون على الإسلام وتعاليمه وشريعته السمحاء الذين يخرجون على المسلمين بالسيارات المفخخة لنسف الأبرياء العزل ونسف ممتلكاتهم بوحشية وعشوائية وهمجية يبطشون بالخلق ظلما وعدوانا بغير الحق ويوجهون أسلحتهم ورشاشاتهم إلى جنود الحكومات المسلمة وهم أهل قبلة وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل المصلين فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (إني نهيت عن قتل المصلين) أخرجه أبو داوود.

وعن أبى أمامة الباهلى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ عاد من خيبر ومعه غلامان فوهب أحدهما إلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه وقال ﷺ (لا تضربه فإني نهيت أن أضرب أهل الصلاة وإني رأيته يصلى منذ أقبلنا) البخاري في الأدب المفرد.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار) أخرجه الإمام البخاري ومسلم .

وفى رواية قوله ﷺ (من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه وإن كان أخاه لأبيه وأمه) متفق عليه. وقال ﷺ (من أمن رجلا على نفسه فقتله فأنا بريء منه حتى ولو كان المقتول كافرا) الإمام البخاري ومسلم.

والكافر شامل بأنواعه الأربعة : ١- كافر ذمي . ٢- وكافر حربي.

٣- وكافر معاهد. ٤- و كافر مؤمّن . ومعنى مؤمّن أى دخل فى ذمة المسلمين وفى أمانهم وشروحهم مبينة في الكتب باستفاضة .

ولما كان الإسلام هو دين الرحمة والعدل والمساواة :والأمـن والألفة والوفـاء . والمحبـة والأمان والصفاء . كان حرياً بأهله أن يكونوا أوفياء ويقومون على تعاليمه السمحاء بأخوة ونقاء أعزة على الكافرين وعلى المؤمنين رحمـاء. فلا غلظـة ولا قسـوة . ولا عدوان على الحرمات. ولا سفك للدماء. ولا قهر للحريات حتى مع غير المسلمين : وانظـر إلى طـيب الوصايا الربانية والتوجيهات القرآنية السامية قول الحق جل وعلا : يرشد المؤمنيـن إلى أطيب العلاقات واعدل المعاملات في قوله جل شأنه ﴿وان احد من المشركـين استجـارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ﴾ ٦ سورة التوبة.

هذا هو حال القرآن مع المشرك. فما بالك بأصحاب الديانات الأخرى . والمسلم مع المسلم؟ وقد حرم الله جل وعلا: العدوان عامه وجعله سببا في نفي محبة الله عز شأنه للمعتدين في قوله: ﴿ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾١٩٠ سورة البقرة.

وجاء في الهدى النبوي الشريف قوله ﷺ (ليعلم اليهود والنصارى إن في ديننا فسحة : فإنما بعثت بالحنيفيه السمحة : غدايلتقى الأحبة : محمد وصحبه) الإمام مسلم.

والفسحة : هي السعه واليسر والتيسير في الدين.

وقد قال الرسول ﷺ :لابن عمه العباس رضي الله عنهما (يا بنى إن هذا الدين متين : فأوغل فيه. برفق :ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه) الإمام البخاري ومسلم.

وقول الحق جل شأنه ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾

فقد رفع الله عز ثناؤه الحرج عن هذه الأمة في دينها كما يسر عليها في شرعها .

وفى بيان بغض الرسول ﷺ : وتحريمه لترويع الآمنين ما حكاه عبد الرحمن بن أبى ليلى :قال حدثنا أصحاب محمد ﷺ (أنهم كانو يسيرون مع الرسول ﷺ : فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه . ففزع الرجل من نومه: فقال الرسول ﷺ (لا يحل لمسلم أن يروع مسلما). الإمام أحمد وأبو داوود.

ومما يفزع منه المتجبرون القاتلون للأبرياء ظلما أن الله جل وعلا أول ما يقضى به بين الخلائق ويفصل فيه بين العباد يوم القيامة :هي الدماء التي أريقت ظلما فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ (أول ما يقضى الله بين الناس يوم القيامة في الدماء) الإمام البخاري ومسلم.

فقتل الأنفس البريئة بغير الحق ظلم وفساد كبير والظلم ظلمات يوم القيامة :وقد حذر الرسول ﷺ وأمر بالوقاية منه : فقال ﷺ (اتقوا الظلم:فإن الظلم ظلمات يوم القيامة.واتقوا انشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) أخرجه الشيخان .

وفي بيان حرمة وقدسية الإسلام لحياة غير المسلمين وبيان أن من يعتدي عليهم ظلما يحرمه الحق جل وعلا من ريح الجنة في قوله ﷺ (من قتل معاهدا لم ير ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما)أخرجه الإمام البخاري .

وعن أبى بكرة الثقفي رضي الله عنه :قال رسول الله ﷺ(من قتل نفسا معاهدا بغير حلها ، حرم الله جل وعلا عليه الجنة أن يشم ريحها) أخرجه النسائي.

ومن تعاليم الإسلام السامية لنبي الرحمة ﷺ أنه كان يوصى قادة جيشه في الفتوحات الإسلامية وينهاهم عن قتل النساء والصبيان والشيوخ والذرارى(جمع ذرية) والعسيف (النخل) والأبرياء الذين لا علاقة لهم بالحرب .

فورد قوله ﷺ (لا تقتلوا النساء ولا الصبيان ولا الشيخ الكبير ولا تحرقوا نخلا ولا تهلكوا حرثا ،ولا تهدموا بئرا بها ماء يرتوي منها العطشى والطير في السماء).

وعن عبدا لله بن عمر رضي الله عنهما : أن امرأة وجدت مقتولة في بعض غزوات النبي ﷺ فأنكر الرسول ﷺ قتل النساء والصبيان) أخرجه الشيخان.

وفي لفظ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : وجدت امرأة مقتولة في بعض غزوات النبي ﷺ فنهى الرسول عن قتل النساء والصبيان) الإمام مسلم وأبو نعيم في حلية الأولياء .

أنظر أيها المؤمن هذا فعل رسول الله ﷺ مع غير المسلمين .فكيف . بالمسلمين ؟

وصدق الحق سبحانه إذ يقول ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ ١٠٧ :الأنبياء .

وعن رباح بن الربيع رضي الله عنه: قال كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة وعلى مقدمة الجيش خالد بن الوليد فمرّ رباح وأصحاب النبي ﷺ على امرأة مقتولة حسنة الخلقة قد أصابت المقدمة فوقفوا ينظرون إليها ويتعجبون من خلقها حتى لحقهم رسول الله ﷺ على راحلته . فانفرجوا عنها فوقف الرسول ﷺ عندها وقال(ما كانت هذه لتقاتل : أي أن هذه لم تكن لتشارك في الحرب والقتال فقال لأحدهم الحق خالدا فقل له لا تقتلوا النساء ولا الصبيان ولا ذرية ولا عسيفا) أخرجه الإمام احمد وأبوا داوود.

وفي لفظ عن أبي داوود قال ﷺ(لا تقتلن امرأة ولا عسيفا) رواه أبو داوود.

وعن عبدا لله بن العباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال(أبغض الناس إلى الله ثلاثة ملحد في الحرم ، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية وطالب دم امرىء بغير حق ليريق دمه) أخرجه الأمام البخاري. ومعنى : مبتغ في الإسلام سنة الجاهلية أي أنه معتنق للإسلام إسما فقط وأفعاله جميعها أفعال جاهلية ليست من الإسلام في شيء.

وقد صحح الحق تبارك وتعالى لمن ادعوا الإيمان إسما فقط حين قالوا:

﴿قالت الأعراب آمنا ﴾فرد عليهم سبحانه ادعاءهم الكاذب ﴿قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ ١٤ :الحجرات .

إذن هناك إسلام لا يرتقي إلا مرتقا الإدعاء ، من يدعيه يعتنقه إسما فقط وأفعاله أسوء من أفعال الجاهلية ولا عجب فقد بين الحق سبحانه أن في الخلق أناس أضل من البهائم بأفعالهم فقال جل شأنه ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ﴾ ٤٤ :الفرقان .

وعن أبي بكرة الثقفي رضي الله عنه :أن رسول الله ﷺ قال(من قتل رجلا من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاما) أخرجه النسائي.

وأخرجه الإمام أحمد أيضا بلفظ سيكون قوم لهم عهد ،فمن قتل رجلا منهم لم ير ريح الجنة)الإمام أحمد.

وعن بن العباس رضي الله عنهما :قال سمعت رسول الله ﷺ يقول(يجيء المقتول يوم القيامة متعلقا بالقاتل وأوداجه تشخب دما ، فيقول أي ربى سل هذا فيم قتلني ؟) أخرجه الإمام أحمد .أوداجه(أي شرايينه).وفي بيان حرمة ترويع الناس وإخافتهم روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن تخويف الناس وترويعهم لمجرد إشهار السلاح عليهم فقال ﷺ (من مر في شيء من مساجدنا أو أسواقنا ومعه نبل فليمسك)أخرجه الأمام البخاري ومسلم. ومعنى فليمسك أي (فليمتنع عن هذا).

والحقيقة الغائبة الحاضرة هي أن الإسلام هو دين الرحمة والعدل والمساواة والأمن والسلام سواء أنكر هذه الحقيقة الجاحدون الحاقدون على الإسلام الخارجون على تعاليمه السامية وشرعه القويم أو أقروا بها .فإن الإسلام هو دين الله الحق وهو دين الرحمة والسلام مهما طعنه أعداؤه المنسوبون إليه ظلما والمحسوبون عليه زورا أمثال عبدا لله بن سلول وأن من يقومون بترويع الآمنين وقتل المعصومين الأبرياء فإن الإسلام منهم براء وكيف لا وهو دين الله الحق جل وعلا المنزل على خير الخلق محمد ﷺ ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ﴾٦:سورة التوبة. وفى بيان تحريم دم المسلمين وأذيتهم قال رسول الله ﷺ فيما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع (يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعايروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته يفضحه ولو فى رحله) البخاري ومسلم .

وقد نظر ابن عمر رضي الله عنهما إلى الكعبة يوما فقال:(ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله عز وجل منك) أخرجه الترمذي .

وفيه بيان مدى قدسية حياة الإنسان وحرمة قتله وأنه أكرم المخلوقات عند الله تبارك وتعالى وصدق الحق إذ يقول ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾٧٠: الإسراء .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ولا يحقره ،التقوى ها هنا وأشار إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)أخرجه الإمام مسلم .

وقوله ﷺ (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)الإمام البخاري ومسلم .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال(إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار) قلت يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ فقال ﷺ(فإنه كان حريصا على قتل صاحبه)متفق عليه .وعن جرير بن عبد الله الجبلي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له في حجة الوداع أستنصت الناس ثم قال(لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) متفق عليه.

وقال ﷺ (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله جل وعلا عنه) البخارى ومسلم .

وعن أبى بكرة نفيع بن الحارث الثقفي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في حجة الوداع (أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض،ألا قد بلغت؟قالوا نعم قال :اللهم فاشهد).

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما :قال كنا نتحدث عن حجة الوداع والرسول ﷺ بين أظهرنا فحمد الله عز وجل وأثنى عليه وقال (ألا إن الله جل شأنه حرَم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ألا قد بلغت ؟ قالوا نعم قال ويلكم لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)الإمام البخاري.

وقال رسول الإنسانية ﷺ (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) متفق عليه.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (ليس من نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كف،ل من دمها لأنه أول من سن القتل)وابن آدم الأول أي (قابيل).الإمام البخاري ومسلم.

وفى بيان حرمة تخويف المسلمين وترويعهم فعن جابر بن عبدالله قال مرّعلينا رجل في المسجد ومعه سهام فقال له رسول الله ﷺ (أمسك بنصالها) متفق عليه.

وفى لفظ أن رجلا مر بأسهم في المسجد قد أبدى نصولها فأمره الرسول ﷺ أن يأخذ بنصولها كي لا يخدش مسلما .

وعن سعيد ابن جبير ﷺ قال كنت مع ابن عمر رضى الله عنهما حين أصابه سنان الرمح في أخمص قدمه فلزقت قدمه بالركاب فنزلت فنزعتها (وكان ذلك بمنى فبلغ الحجاج بن يوسف الثقفي ذلك فجعل يعود ابن عمر فقال الحجاج لابن عمر لو نعلم من أصابك فقال له ابن عمر رضي الله عنهما أنت الذي أصبتني فقال له الحجاج متعجبا وكيف هذا ؟ قال ابن عمر رضي الله عنهما لقد حملت السلاح في يوم لم يكن يحمل فيه، وأدخلت السلاح الحرم ولم يكن السلاح يدخل الحرم) الإمام البخاري في الأدب المفرد.

وقال الحافظ بن حجر رحمه الله تعالى في معنى قول الرسول الكريم ﷺ (من حمل السلاح علينا فليس منا) أي (من سل السيف) حمل السلاح على المسلمين لقتالهم بغير حق لما في ذلك من تخويف لهم وإدخال الرعب عليهم وكأنه كنى بالحمل عن المقاتلة أو القتل للملازمة (الفتح).

وقال الحافظ بن حجر رحمه الله تعالى أيضا قوله ﷺ (فليس منا) أي ليس على شريعتنا ولا متبعا لطريقتنا لأنه من حق المسلم على المسلم أن ينصره ويقاتل دونه لا أن يرعبه يحمل عليه السلاح ليرعبه ولإرادة قتله ونظيره (من غشنا فليس منا) (وليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب) أي أن هذه الأفعال جميعها حمل سلاح المسلم على المسلم والغش وشق الجيوب وضرب الخدود تخرج فاعليها من زمرة الإسلام :في قوله ﷺ (ليس منا) أي ليس من الإسلام في شيء ومن يستحل فعلها فإنه يكفر باستحلاله المحرم وليس لمجرد حمل السلاح، وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما :قال رسول الله ﷺ (لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما) أخرجه الإمام البخاري . والفسحة هي(السعة في الأعمال واليسر في الدين).

وفي بيان تحريم قتل من قال (لا إله إلا الله) عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة فصبحنا القوم على مياههم فهرمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم فلما غشيناه قال (لا إله إلا الله) فكف عنه الأنصاري وطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا المدينة بلغ ذلك النبي ﷺ فقال لي يا أسامة أقتلته بعد أن قال (لا إله إلا الله) فما زال يكررها علي حتى تمنيت اني لم أكن أسلمت قبل هذا اليوم) متفق عليه.وفي رواية (أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها بحق أم لا ؟) .

وعن عبدالله بن عمـر رضي الله عنهما أن رسـول الله ﷺ قال (أمـرت أن أقاتـل النـاس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله) متفق عليه .

وفي رواية قال ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا (لا إله إلا الله) فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها) ولذا سمي من قال لا إلـه إلا الله معـصومـون مـن القتـل وسلب الأموال .

وفي بيان تحريم إخافة المسلمين وإرهابهم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (من أخاف أهل المدينة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا من أخافها فقد أخاف مابين هاتين) وأشار إلى ما بين جنبيه .رواه ابن أبي شيبة.

وفي بيان حرمة الدماء عن أبي هريرة رضـي الله عنـه قـال :قال رسول الله ﷺ (بحـسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم،كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)الإمام مسلم.

وعن أبي هريرة رضـي الله عنــه أن رسول الله ﷺ قـال(أتدرون من المفلس ؟قالوا المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع فقال ﷺ ليس كذلك،إنما المفلس من أمتي هو مـن يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هـذا وهـذا مـن حسناتـه فإن فنيت حسناتـه قبـل أن يقضى ما عليـه أخـذت مـن خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار) الإمام مسلم.

وفى بيان أن الانتحار بالسيارات المفخخة والأحزمة الناسفة وغيرها أن أصحابها قاتلي أنفسهم وليست من الجهاد ولا الإسلام فى شيء قال الرسول ﷺ عن أبى هريرة رضي الله عنه (من قتل نفسه بحديدة فحديته في يده يتوجأبها فى بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن شرب سما فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها) متفق عليه .

وفى بيان ذم الشدة والتشديد والمغالاة في الدين أنها ليست من الإسلام في شيء قال الرسول ﷺ (إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا ولا تباعدوا ويسروا ولا تعثروا وبشروا ولا تنفروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة) الإمام البخاري.

ولقد يسر الحق سبحانه التكاليف الشرعية على هذه الأمة في دينها فقال عز شانه ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ ٢٨٦ : البقرة .

كما رفع جل جلاله عنها الحرج في الدين فقال عز شأنه ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ ٧٨: الحج .

ولقد تضافرت نصوص الوحي النبوي الشريف مع آيات الكتاب الحكيم في توضيح منهج الإسلام القويم وما ينبغي السير عليه والتنبيه والتحذير من الوقوع في الشقاق والفرقة والبدع والوقوع في شرك المعاصي والذنوب وأعلاها وأبشعها الإعتداء على حياة الناس وترويعهم ظلما وبغير الحق وينسى الخارجون على تعاليم الإسلام قول الحق جل وعلا ﴿أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ﴾٣٢: المائدة.

وفيه بيان قدسية حياة النفس أي نفس دون النظر إلى النوع والجنس أو العنصر أو الديانة وجاءت كلمة نفس مجردة من أل (التعريفية) لتشمل كل نفس دون النظر إلى نوعها أو جنسها أو دينها من قتلها بغير حق فكأنما قتل الناس جميعا .

ولست أرى أوضح مثالا يبين مدى حرص الرسول ﷺ وشفقته على أمته من عاقبة الفرق والبدع والأهواء فيقول ﷺ (إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فذلكم مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار هلم عن النار فتغلبوني وتقحمون فيها) الإمام مسلم .وفى رواية (وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي) الإمام مسلم .

وانظر إلى غثاء السيل المنحدر من جسد هذه الأمة الإسلامية هل له من تأثير فى حسابات المجابهة على خريطة العالم؟ لتعلم كم تفلتت من يد النبي ﷺ بالفرق والبدع والأهواء رغم أنه ﷺ (ما ترك شيئا يقرب من الجنة ويبعد عن النار إلا وقد أمر به, وما ترك شيئا يقرب من النار ويبعد عن الجنة إلا وقد نهى عنه).أنظر شعب الإيمان للبيهقى .

فترويع الآمنين وقتل المعصومين وإيذاء المؤمنين بغير ما اكتسبوا هو أبشع أنواع الفساد في الأرض وأفظع أنواع الظلم وقد سماه الحق سبحانه بالبهتان والإثم المبين في قوله جل شأنه ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا ﴾ ٥٨:الأحزاب .

وانظر إلى لفظ (احتملوا) أي أصبح البهتان وهو أشد الذنوب حملا ثقيلا للمؤذين يثقل ظهورهم يوم القيامة يوم الفزع ﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾٢ :الحج.

وحمل البهتان (الذنب العظيم) أثقل أنواع الأحمال فلا يوضع عنهم إلا وهم به في مستقر جهنم يتقلبون به في دركاتها ومعلوم أن العذاب صنوف شتى كما أخبر الحق جل شأنه فمنه الأليم وهو ما يسبب للعبد ألما ما بعده من ألم ,ومنه المهين وهو ما يسبب للعبد الألم والإهانة أمام الخالق , ومنه المقيم الذي لا ينقطع عن المذ نبين ومنه العظيم وهو أشد وأفظع أنواع العذاب وقد توعده الحق جل وعلا أصحاب القتل العمد للمؤمنين بغير ذنب في قوله جل شأنه ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾ ٩٣ :النساء.

تبين هذه الآية الكريمة أن قتل المؤمن عمدا يستوجب خلود القتلة في جهنم كما يستوجب غضب الرب جل وعلا ولعنته عليهم وهو ما يعنى عدم عفوه عز شأنه عنهم ورحمته سبحانه لهم لأن هناك من الذنوب ما يعفوا الله جل شأنه عن أصحابها حتى ولو دخلوا النار ولعلنا نلاحظ في القرآن الكريم أن غضب الله عز وجل على المتعمدين القتل للمؤمنين وإيذاءهم بغير ما اكتسبوا ولعنته عز شأنه لهم يعقبها إعداده سبحانه العذاب العظيم لهم وأن الجزاء لمتعمدي القتل هو الخلود في جهنم جميعها على اختلاف دركاتها وشتى صنوف أنواع عذابها فلم يحدد لهم دركا بعينه كما هو الحال في المنافقين ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ .

وإنما القتلة العمد فى جهنم جميعها وهو مقتضى العذاب العظيم ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما ﴾

٩٣ : النساء.

فالقتل والتدمير والترويع والترهيب وإثارة الرعب والخوف وبث الذعر للآمنين والفزع للناس وهو أبشع أنواع الفساد وليس من الإسلام في شيء دين الحنيفية السمحة فى قول

الحبيب المصطفى محمد ﷺ (ليعلم اليهود والنصارى أن فى ديننا فسحة، فإنما بعثت بالحنيفة السمحة ،غدا يلتقي الأحبة محمد وصحبه) .

وحسبك قول الحق عز ثناؤه ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام ،وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد وإذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ﴾٢٠٦:٢٠٤ :البقرة .

وهل كان اعتراض الملائكة على خلق الخليفة أبى الخليقة آدم عليه السلام إلا خشية أن يفسد هو أو ذريته من بعده حينما أعلمهم الحق سبحانه أنه سيجعل فى الأرض خليفة بقوله عز شأنه﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾كان منهم الإستفهام الإعتراضى ليس على الخلق أو الجعل وإنما على ما سيحدث منه ومن ذريته من بعده ﴿قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون ﴾٣٠ :البقرة.

ثم منح آدم عليه السلام خاصية فى التفضيل لم تمنح للملائكة وهى تعليمه أسماء كل شيء قبل أن توجد المسميات وهى خاصية لأبى الخليقة لم تتوفر لغيره وبها نال درجة التفضيل ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم،قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبئهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ ٣٢:٣٣ البقرة .

فجاءت أولى مراتب الفساد في الأرض في تنبأ الملائكة واستفهامهم الإعتراضى هى (سفك الدماء)إذن إعتراض الملائكة على ما سيصدر من هذا الخليفة ومن ذريته من بعده من فساد

وأبشع وأفظع وأقبح أنواع هذا الفساد هو(سفك الدماء)ولذا حينما وقعت أول جريمة قتل على وجه الأرض بعد أن أعمى الحقد قلب قابيل ابن آدم الأول على أخيه هابيل توعده بالقتل إن تزوج توأمت قابيل الجميلة ولم يتزوج توأمته هو الذميمة فيما حكاه القرآن العظيم قول الحق عز ثناؤه ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين ﴾٢٧: المائدة.

والقضية تبدأ حينما أوحى الله تبارك وتعالى إلى آدم أبى الخليقة عليه السلام ،أن يتزوج ابن البطن الأول من أبنائه إلى ابنة البطن الثاني من بناته من حواء أم البشر(وبالعكس) أي أن ابن البطن الثاني يتزوج ابنة البطن الأول وهكذا من أجل إعمار الدنيا في بدء الخليقة لأن الحكمة من إيجاد الخلق هي عبادة الخالق سبحانه وعمارة الأرض﴿ويا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾٦١: هود.

وسرعان ما تمرد قابيل على أمر الله عز وجل ووحيه لأبيه معترضا على حكم الله عز ثناؤه وقدره فقال لأخيه هابيل إن أخذت توأمتي (لأقتلنك) فأوحى الله جل وعلا إلى آدم عليه السلام أن يأمر كل واحد منهما أن يتقرب إلى الله جل وعلا بقربان ومن يقبل قربانه ويرفع إلى السماء يأخذ التوأمة الجميلة فقدم هابيل أجمل كبش في أغنامه بينما قدم قابيل أردى قمح في غلاله ،فتقبل الله تبارك وتعالى قربان هابيل ورفعه إلى السماء ولكن هيهات هيهات الحقد أعمى قابيل وأصر على قتل أخيه إن تزوج توأمته فيما حكاه القرآن العظيم عن حال الأخوين ﴿قال لأقلنك ﴾.

ولكن هابيل كان هو أول من أرسى قواعد الأخلاق للبشرية في الوجود ،أخلاق إيمان اليقين أنه متيقن أن العودة والمآل إلى الله عز وجل وبثبات المتقين الواثقين من الرجعة إلى الله عز

شأنه وأن الموت حق على العباد ،وأن البعث والنشور حق يوم الميعاد﴿ وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾.٧:الحج.

وأن القيامة حق وأن الثواب حق وأن العقاب حق وأن الجنة حق والنار حق وأن الملك الحق الله جلت قدرته هو القاضي والحاكم بين الخلائق في هذا اليوم ولا قاضي غير الله فبكل هذا اليقين من هابيل كان رده على أخيه قابيل قاعدة أرسى فيها أعلى درجات مكارم الأخلاق فقال ﴿قال إنما يتقبل الله من المتقين ﴾.٢٧ المائدة .

وهنا يبين هابيل أول شهيد للحقد أنه متسلح بأقوى سلاح وهو التقوى أي أنه تقي لا يقيم للدنيا وزخارفها الزائفة وزنا وضح ذلك جليا في قول الحق عز ثناؤه ﴿ لئن بسط إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك ﴾.

ثم بين الأسباب تباعا وأولها الخوف من الله عز وجل وهو أول دعامات التقوى التي بينها الإمام علي كرم الله وجهه ورضي عنه في تعريفه للتقوى قال:هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضي بالقليل والإستعداد ليوم الرحيل . فقال هابيل ﴿إني أخاف الله رب العالمين ﴾٢٨:المائدة .

والسبب الثاني هو ﴿إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك ﴾أي تتحمل ذنبي وذنبك فتستوجب لك النار بشموليتها ليس دركا منها ﴿فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ﴾ ٢٩:المائدة .

من هنا نتبين أن القتل بغير الحق من أفظع أنواع الظلم وأنه يورث أهله النار وهى جزاؤهم الخلود فيها فالقتل بغير الحق ظلم ما بعده ظلم وكذا ترويع الآمنين ﴿فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ﴾ ٣٠:المائدة .

وأي خسارة :خسر أخيه وخسر الدنيا والآخرة وحدد مصيره إلى جهنم وبئس المصير وأرسى قواعد الحقد في الوجود،فإبليس عليه اللعنة هو أول حاسد في الوجود حسد آدم عليه السلام واستكبر ولم يسجد له ،وقابيل هو أول من حقد على أخيه وأرسى قواعد الحقد في الوجود .

وقد أخبر الرسول الأعظم محمدﷺ أنه (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة) البخاري في الأدب المفرد والبيهقى في شعب الإيمان .

وفى رواية (من سن سنة حسنة فله كفل منها ،ومن سن سنة سيئة فله كفل منها)الحاكم عن ابن العباس.

وقد قص الحق تبارك وتعالى قصة ابني آدم عليه السلام على الرسول الخاتم محمد ﷺ لبيان العبرة والعظة وما يؤدى إليه الحقد وهى من أفيد وأنفع القصص القرآنى لأن من عظمة القصة في القرآن تجسيد مشاهد الغيب وجعلها في صورة المشاهد الحاضر والارتقاء بالحدث فوق الزمان والمكان .

وهو من أورع القصص القرآنى روعة وإخبارا وبيانا وصدق الحق عز وجل إذ يقول ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾٣: يوسف أىأنت يا محمد قبل نزول هذا القرآن عليك كنت لا تعرف شيئا عن هذه الأحداث لو لم أعلمك قرانا يوحى إليك ويتلى .وقد بين الحق سبحانه هذا المعنى في آيات أخر في مثل قوله جل وعلا﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾٤٩: هود.

أى قبل أن أوحى إليك هذا القرآن لم تكن أيضا تعرف قصة نوح عليه السلام مع قومه ومع ولده ولا الطوفان ونجاة المؤمنين مع نوح عليه السلام وهلاك الكافرين حتى وإن كان ابن نوح لصلبه وفيه بيان أن كفر الولد ينفى نسبه لأبيه وأن الإيمان بالله مبدع الأكوان خالق الإنس والجان يحقق نسب الولد لأبيه أقوى من نسب الصلب فى قول الحق جل وعلا حينما أراد نوح عليه السلام أن يشفع لولده فينجيه الله عز شأنه من الغرق فلا يكون مع الغارقين فيما حكاه القرآن عن حال نوح عليه السلام مع ولده وهلعه لغرقه قول الحق جل وعلا﴿ونادى نوح ربه قال رب إن ابني من أهلي وأن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ﴾.٤٥ : هود.

فرد الله تبارك وتعالى شفاعة نوح عليه السلام لولده فنفى الحق جل وعلا نسبه لأبيه أن يكون من أهله بسبب كفره وعصيانه لأبيه وسوء عمله﴿قيل يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين ،قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم وإلا تغفر لى وترحمني أكن من الخاسرين ﴾ ٤٧ : هود.

وقصة ابني آدم عليه السلام فيها أول جريمة قتل وقعت على ظهر الأرض وهى الواقعة التي أحزنت آدم عليه السلام وهزت كيانه فأنشأ من حزنه على ولده يقول بإحساسه ومشاعره وشاهده فيما ورد في أحد الأخبار عن آدم عليه السلام فيقول :-

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر وقبيح

تغير كل ذي ريح وطعم وقلت بشاشة الوجه المليح ....

والقصة تبدأ بالآية الكريمة قول الحق عز ثناؤه ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين لإن بسط إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين ،إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ،فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين،فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخي فأصبح من النادمين من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ﴾

٢٧ :٢٨ المائدة .

وهنا نتبين في الموازين القرآنية وبمقتضى العدل والحكمة الإلهية أن من قتل نفسا واحدة بغير نفس أي القصاص من المعتدى كأنه قتل الناس جميعا فما بال أصحاب العربات المفخخة التي تقتل بالمئات في مرة واحدة بغير ذنب يقتل الأبرياء أليس ظلم وفساد كبير وإسراف وغيبة ضمير وغفلة من المتجبرين الطامعين في سلطة أو جاه أو سلطان يتسلطون به على خلق الله جل وعلا غافلين لاهين ناسين الموت. أليست حرابة الله عز وجل ورسوله ﷺ وقد بين الحق سبحانه جزاء هؤلاء الجاحدين الناكرين لنعم الله سبحانه وتعالى الذين يعتدون على الناس ظلما وينتهكون الحرمات ويفسدون في الأرض بغير الحق في قوله جل شأنه﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ﴾ ٣٣:المائدة.

ناسين وصية رسول الله الكريم صاحب الخلق العظيم ﷺ الذي أوصى وصية جامعة مانعة شافية كافية يوم حجة الوداع وهو على عرفات حين قال ﷺ (أيها الناس إن ربكم لواحد

وإن أباكم لواحد ,كلكم لآدم وآدم من تراب ،لا فضل لعربي على أعجمي ،ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ثم قرأ قول الحق جل وعلا ﴿إن أكرمكم عند الله اتقاكم﴾ ١٣: الحجرات. أيها الناس إن دماؤكم وأموالكم ،وأعراضكم،حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذه في بلدكم هذا فى عامكم هذا ويحكم لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ألاقد بلغت ؟قالوا نعم : قال اللهم فاشهد) متفق عليه

وقوله ﷺ (المسلم أخوا المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه ،كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه .....إلخ).الإمام البخاري.ولم يفقهوا قول الحبيب المصطفى ﷺ (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) الإمام مسلم وأحمد،وجاء فى الهدى النبوي الشريف قوله ﷺ (خصلتان لا شيء أفضل منهما الإيمان بالله والنفع للمسلمين،وخصلتان لا شيء أخبث منهما الشرك بالله والضر بالمسلمين) الإمام أحمد عن معاذ بن جبل .

وقال ﷺ (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله تعالى عنه)متفق عليه.

وقد توالت آيات التنزيل تبين منهج الحق جل وعلا للبشرية في حرمة سفك الدماء وقدسية حياة الإنسان وكرامته وأن الله تبارك وتعالى أخذ على بنى آدم ميثاقا بعدم سفك الدماء وعدم الخروج من الديار تتبعا لعورات الخلق والإعتداء على حرماتهم فيما قرره التنزيل قول الحق عز شأنه ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ،ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسرى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما

تعملون،أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ﴾٨٤ : ٨٦البقرة .

فلا سفك للدماء ولا يخرج القوى الضعيف من داره ويستولى عليه عنوة بالقوة والعنف فهذا ليس في الإسلام ولا منه في شيء ولا في الشرائع الأخرى والديانات السابقة لأن معين النبوة ينبوع واحد مداده ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ ٩٠ : النحل .

والعدل إسم من أسماء الله عز وجل سمى به نفسه وأمر به خلقه فقال جل شأنه﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾٨ : المائدة.

وقوله جل شأنه ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ﴾

﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾٥٨ : النساء.

والعدل لغةً: (الإنصاف.)

أما العدل شرعاً: هو (وضع الأمور في نصابها) .

وهو سمة القضاء ولا ينصب القضاء إلا إذا ضاعت الأمانات ولم ترد إلى أهلها فإذا ضاعت الأمانات نصب القضاء وإذا نصب القضاء وجب العدل ولو كان احد الخصمين شقيق القاضي دل على ذلك قول الحق عز شأنه﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا﴾٥٨ : النساء. فإذا ضاعت الأمانات ولم تؤدى إلى أهلها نصب القضاء وإذا نصب القضاء وجب العدل إذن العدل هو مقتضى الدقة فى مجريات القضاء وهو ضد الجور والظلم ولا شك أن قتل الأبرياء والبطش بالضعفاء والفساد في الأرض هو أبشع أنواع الظلم والجور وهو مناف للعدل الذى أمر الله تبارك وتعالى به عباده والجور إجحاف وجحود للحقوق الإنسانية

ونقضا لميثاق الحق جل وعلا الذي أخذه على البشرية بعدم سفك دماء بعضهم البعض بغير حق والحق هو إجراء القصاص فيمن قتل نفسا وهو متعمدا ففي هذه الحالة يقتل قصاصا وأيضا الحق في الحرابة هو تنفيذ حدود الله عز وجل وتنفيذ شرعه في من يحارب الله ورسوله ويسعى فى الأرض فسادا فيما قرره التنزيل قول الحق عز شأنه ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم﴾. ٣٣: المائدة.

ونلاحظ في النصوص القرآنية الكريمة في الآيات التي تتحدث عن مرتكبي القتل والفساد في الأرض عمدا وكذا قطاع الطريق وأهل الحرابة لله عز وجل ولرسوله ﷺ أي المتجاوزون لحدود الله جل شأنه والخارجون على سنة رسوله ﷺ المنكرون لمنهج الإسلام الحق الذي مبدأه الأمن والسلام تختتم دائما بالعذاب العظيم وهو ما يعنى العذاب على عموميته وإطلاق شموليته أي شتى صنوف العذاب على اختلاف أنواعها مقترنا بغضب الرب جل وعلا على أهل القتل للناس ظلما بغير الحق وكذا لعنته سبحانه عليهم فى قوله عز شأنه ﴿ ومن قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾٩٣: النساء.

إذن مقتضيات العذاب العظيم الذي أعده الله جل وعلا لمن يسعون في الأرض فسادا ويقتلون الناس ظلما وعدوانا بغير ذنب اقترفوه هو الخلود في جهنم وغضب الله عليهم ولعنته لهم ومن يغضب الله جل وعلا عليه ويلعنه لا ينظر إليه جل شأنه بعين الرحمة ولا تنفعه شفاعة الشافعين فهو بعيد فهو بعيد عن رحمة الله عز وجل وعفوه ومغفرته وقد بين الحق سبحانه حال قوم نقضوا ميثاقهم مع الله عز وجل وسفكوا الدماء بالباطل عنوة وظلما

في قوله جل شأنه ﴿ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان ﴾ ٨٤: ٨٥البقرة .

وقد توالت آيات التنزيل التي تنهى عن القتل في مثل قول الحق عز شأنه ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ،ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا ﴾.٢٩: ٣٠ النساء.

وقوله عز ثناؤه ﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا ﴾ ٣٣ :الإسراء.

ومعنى فقد جعلنا لوليه سلطانا أى اليد العليا و الحق فى القصاص من القاتل دون إسراف فى القتل وهو الإفراط فى كثرة القتل ولما كان الله تعالى دقة فى مقتضى العدل نهى صاحب الحق عن الإسراف في القتل حال القصاص وهو ما يعنى عدم الزيادة فى القتل سواء فى عدد الأنفس أو زيادة الإنتقام والتشفي بالتمثيل والتنكيل فيمن يقتص منه وإنما نفس بنفس وبهذا يكون منصورا فى قصاصه والقصاص به صون حياة الأنفس وقدسيتها دل على ذلك قول الحق جل وعلا ﴿ ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب ﴾ولا شك في نصرت من يقتل مظلوما إن لم تكن نصرته في الدنيا فإن الله تبارك وتعالى سوف ينصره يوم القيامة بالقصاص الأليم والعذاب العظيم للظالم ﴿وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما ﴾.فقد أخبر الرسول ﷺ فى حديث ابن العباس رضي الله عنهما (يأتي المقتول يوم القيامة وهو متعلق في عنق قاتله وأوداجه تشخب دما فيقول أيربى سل هذا في أي شيء قتلني) الإمام أحمد.

ومن الوصايا الربانية في النهى عن القتل قوله جل وعلا﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾١٥١ :الأنعام.

وفى عتاب موسى الكليم للخضر عليهما السلام حال مرافقته إياه ليتعلم منه ﴿قال موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا ،قال إنك لن تستطيع معي صبرا،وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ﴾٦٦ :٦٨،الكهف.

وحينما رأى الخضر وهو يقتل الغلام قال فيما حكاه القرآن العظيم على لسان موسى عليه السلام ﴿ قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا)٧٤: الكهف.

أنكر موسى عليه السلام علي الخضر عليه السلام هذا الفعل واعتبر أنه جاء بشيء منكر والمنكر هو كل ما أنكره الشرع وحرم وهو أحد الثلاثة التي نهى الحق تبارك وتعالى عنها في سورة النحل حيث أمر جل جلاله بثلاثة ونهى عن ثلاثة ،أمر عز شأنه بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ﴿ إن الله يأمر بالعد والإحسان وإيتاء ذي القربى ﴾.

هذه ثلاثة أمر الحق تعالى بفعلها فبإقامة العدل فيها بين الناس يعم الأمن والطمأنينة والسكينة وهى الإستقرار الروحي والنفسي والاطمئنان القلبي،وباطمئنان القلب،سلامة العقل والجسد إذ أن العدل هو أساس الوجود وصدق الحق سبحانه إذ يقول ﴿إعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ .

وصدق رسول الله ﷺ حين جاءه رجل وقال له يا رسول الله إني أعطيت أحد أبنائي عطية (حديقة) وأريدك أن تشهد عليها ،فقال ﷺ (هل أعطيت باقي أبناءك مثله؟قال الرجل لا،فقال الرسول ﷺ (أشهد عليه غيري فإنني لا أشهد على جور). الحاكم في المستدرك وأبو نعيم في الحلية.وقوله ﷺ (اتقوا الله واعدلوا في أولادكم) الإمام مسلم.

إذن العدل هو أصل كل خير وأساس كل أمن وبر وبه يتحقق الإحسان فى رد الحقوق إلى أهلها ورفع المظالم عن المظلومين .

والإحسان هو الرفق والتلطف وهو إسداء المعروف حتى في غير أهله وهو الذي كتبه الله تعالى في كل شيء في قول الحبيب المصطفى ﷺ (إن الله تبارك وتعالى كتب الإحسان في كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة،وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته) البخاري ومسلم.

والمعنى: إذا قتلتم فلا تقتلوا إلا بالحق إما معتد عليكم ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾١٩٠: البقرة.

وإما القصاص وهذا هو معنى الإحسان في القتلة فضلا عن الإحسان في تنفيذها برفق وتلطف حتى ولو كان عدوا مدانا ويستوجب القتل حرصا على كرامة الآدمي وقدسية إنسانيته فما بالك بأصحاب المتفجرات والسيارات المفخخة والهمجية التى تفتك بالإنسانية ولا تقيم لها وزنا منهجها أن لا مبالاة ولا قدسية للحياة ولا للكرامة الآدمية التي بينها الله سبحانه وقررها بقوله عز شأنه ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ ٧٠:الإسراء

وتأتى مرتبة القتل في كبائر الذنوب بعد الشرك بالله فى قول الحق عز ثناؤه ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ﴾٦٨: ٦٩.الفرقان.

وبيان مضاعفة العذاب لمن يفعل هذه الثلاثة الشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله بغير الحق والزنا يقتضى مضاعفة العذاب له والخلود فيه وهو ما يسبب لفاعله إهانة أمام الخلق يوم الحشر يوم الفزع الأكبر ﴿ ويخلد فيه مهانا ﴾ .

كما هو مقتضى الحال في آية سورة النساء ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها﴾ .

الخلود يقتضى مضاعفة العذاب وهو ما يعبر عنه بقول الحق جل شأنه ﴿ وأعد له عذابا عظيما).

أى شتى صنوف العذاب ولقد عاب الحق سبحانه وذم الإرهاب بشتى صنوفه حتى ولو كان سحرا بقوله جل وعلا ﴿ فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم﴾١١٦ : الأعراف

وروى أبو داوود وأحمد عن عبد الرحمن بن أبى ليلة قال حدثنا أصحاب النبي ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى حبل كان معه فأخذه ففزع الرجل من نومه فقال النبي ﷺ (لا يحل لمسلم أن يروع مسلما)أخرجه الإمام أحمد وأبو داوود.

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه ،عن النبي ﷺ أنه قال (ثلاث منجيات وثلاث مهلكات وثلاث درجات وثلاث كفارات).

أما المنجيات :-

١- فخشية الله عز وجل في السر والعلانية .
٢- والقصد في الفقر والغنى .
٣- والعدل في الغضب والرضا .

ولو أن هؤلاء عرفوا الله لخافوه في السر والعلن وما فعلوا ذلك الإرهاب وروعوا الآمنين وما قتلوا المعصومين والمعصومون هم الذين قالوا (لا إله إلا الله) ولزموا منهجها وسلوكها فإنها أكبر ناه لقائلها عن الفحشاء والمنكر .

في قول الحق عز ثناؤه ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون﴾٤٥ :العنكبوت.

أى إن كانت الصلاة عبادة بدنية الغاية من فرضيتها أنها تنهى المصلى عن الفحشاء (وهو الزنى).

والمنكر (وهو كل ما أنكر الشرع وحرم).فإن لا غله إلا الله تكون في النهى لذاكر الله تعالى بها أكبر من الصلاة لأن الصلاة تقام لما هو أكبر منها ألا وهو ذكر الله عز وجل .

قال الله تعالى للكليم موسى عليه السلام في إشراقات الوحي إليه ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى ﴾١٤ :طه.

إذن تقام الصلاة لما هو أكبر منها وهو ذكر الله عز ذكره،(ولا إله إلا الله) هي الحصن والعصمة والحصن المنيع لقائلها بمعناها أعنى منهجها وسلوكها (أعنى القول والعمل).لقول الحق جل وعلا في الحديث القدسي (لا إله إلا الله حصني من قالها فقد دخل حصني ومن دخل حصني أنى يخاف).

وقول الحبيب المصطفى ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا(لا إله إلا الله)فإن قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها) .أي بقصاص أو بحرابة لله ورسوله أو فساد في الأرض أو قطاع للطريق أو خروجا على حدود الله عز وجل،أو منعا للزكاة كما في قول الصديق رضي الله عنه (والله لأقاتلنهم ما منعوني عقال بعير كانوا يعطونها رسول الله ﷺ) اى مانعي الزكاة الذين ارتدوا وقالوا لن نعطى الزكاة لأبي بكر فإن الله تبارك وتعالى قال لمحمد ﷺ (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) وقد مات محمد فماذا على أبى بكر وهى ردة من أنواع الحرابة لله ولرسوله التي أعلن أبو بكر القتال عليهم إذا منعوه عقال بعير كانوا يعطونها رسول الله ﷺ أو عدوانا توجب القصاص وكذا أي عدوان

أو بغى بغير الحق فإنه يوجب القصاص هذا معنى قول الرسول ﷺ (إلا بحقها) أي في هذه الحالات تباح دماء مرتكبيها عمد ا فقط وليس القتل العشوائي بهمجية للأبرياء ، الجاهلين بتعاليم الإسلام السمحاء الخارجين على عليه والمنسوبون ظلما إليه ،وهو منهم ومن أفعالهم براء، ولو أن هؤلاء عرفوا معنى العدل أنه منبع السلام والوئام وبه قوام الوجود ،وأن العدل إسم من أسماء الله الواحد المعبود عز وجل سمى به نفسه وأمر به خلقه ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾،﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ﴾ فالله سبحانه هو العدل ،أما العدل فى ميزان معاملة البشر فهو عدم الجور والميل عن الحق الذى به نصرة المظلومين وإعادة الحقوق إلى أصحابها .

وتعريف العدل : لغة:(الإنصاف) .

وشرعا:(وضع الأمور فى نصابها) .

ومعلوم أن الحق هو إسم من أسماء الله الحسنى جل شأنه أيضا سمى به سبحانه نفسه وأمر به خلقه .

وتعريف الحق لغة : (نصرة المظلومين) .

و أما الحق شرعا:(إعادة ما سلب إلى أهله) .

وأما تعريف الحق فى ميزان تعامل البشر : فهو(جزئية عن العدل) بمعنى أنه إن لم يكن هناك عدل سابق فلا حق لأهله راجع ومن الثابت أن الحق إسم من أسماء الله سمى به نفسه ﴿ذلك بأن الله هو الحق ﴾ ٦٢:الحج .

وأوصى به خلقه واستثنى عز شأنه الذين تواصوا به مقترنا بالصبر من خسارة الربح فى زمن الطاعة بقوله جل وعلا ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾: سورة العصر .

ومن جميل صنيعهم استثناهم الحق جل وعلا من خسارة ربح الأعمال الصالحة فى الزمن الذى يعيشون فيه مدة آجالهم فى الحياة الدنيا ماداموا متمسكين بالحق قائمين عليه فيما بينهم متواصين به فى رد الحقوق لأصحابها وفى نصرة المغلوبين من الخلق المقهورين من المتجبرين أصحاب الضمائر الغائبة والقلوب الخاوية الغافلة اللاهية عن ذكر الله عز وجل لأن الحق ميزان رد الحقوق لأهلها وقلوب لاهية فارغة لا تعرف معنى الحق لأنها لم تذق حلاوة الإيمان فإن للإيمان حلاوة ومن جميل صنيع الإيمان أن أهله يعرفون الحق ويتواصون بالصبر لذا استثناهم الحق جل وعلا من الخسارة فى الدنيا والآخرة ووعدهم بجميل الربح وهو الفوز بعلا الدرجات فى جنات الخلد والبقاء عند خالق الأرض والسماوات، وكفى بالحق فخرا أن الحق هو الله (ذلك بأن الله هو الحق).٦٢:الحج.فطوبى لمن تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر،وطوبى هي شجرة فى الجنات ما من غرفة من غرف الجنات إلا وعليها غصن من أغصانها وثمار من ثمارها،وتحتها عين ماء تسمى ماء طوبى ما من عبد يأذن الحق تبارك وتعالى له بدخول الجنة إلا ويغتسل فى ماءها تحت الشجرة ، وعندها ينال تحية الملائكة له وهى تحية للسعداء الذين هداهم الله تعالى لفعل الخيرات وأذن لهم سبحانه بدخول الجنات فتحييهم الملائكة ﴿ سلام عليكم طبتم ﴾ أى طهرتم باغتسالكم فى ماء طوبى ﴿فادخلوها خالدين ﴾٧٣:الزمر ومعلوم أن آخر دعوات أهل الجنات هى (الحمد لله) دل على ذلك قول الحق جل وعلا ﴿سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾ ١٠:يونس .وأيضا بعد طهورهم فى ماء طوبى تحت الشجرة وبعد دخولهم الجنة آخر دعواهم (الحمد لله على صدق وعده جلت قدرته) دل على ذلك قوله سبحانه ﴿ وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده ﴾٧٤:الزمر .

وأما المهلكات فهى :-

١- شح شديد .   ٢- وهوىً متبـع .   ٣-وإعجـاب المرء بنفسـه .

والشح أشد من البخل لأن البخـل هو العطاء مع عـدم الرضي أما الشح فلا عطاء أصلا ولذلك يحضـر الحـق جـل وعـلا الأنفس يوم القيامة ومعها شحها ﴿ وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ ١٢٨ :النساء .

والهوى المتبع :هو أحد أعداء الإنسان الأربعة :أربعة هن سر شقائي — النفس - والدنيا — والشيطان — والهوى كيف الخلاص وكلهـم أعدائي وإعجـاب المرء بنفسـه مـن الكبر والخيلاء والسمعة والرياء .

وأما الثلاث الدرجات :فهي :-

١-إفشاء السلام : ولو عـرفوا أن السلام هـو إسم من أسمـاء الله الحسنى وقـد سمى بـه الله سبحانه وتعالى نفسه وجعل له فى الجنة دارا أسماها دار السلام ودعا لهـا المؤمنين بقوله جل شأنه ﴿ والله يدعوا إلى دار السلام ﴾ .

وهو سبب الحب الإلهي بين المسلمين فى قول النبي ﷺ (ألا أدلكم على شيء إذا فعلتمـوه تحاببتم ،أفشوا السلام بينكم) الإمام مسلم.ومعنى أفشوا السلام :أى انشروا الأمن والأمان بينكم .

٢-وإطعام الطعام: وفيه بيـان الإيثار على النفـس وهو عمـل لا يفعلـه إلا الأبـرار ﴿ ويـؤثـرون علـى أنفسـهم ولـو كـان بهـم خصاصـة ﴾٩:الحشر .

وكذا ما فعله آل بيت النبى الكريم المختار ﷺ يوم الوفاء بنذرهم ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ﴾ ٨: الإنسان .

٣-والصلاة بالليل والناس نيام وهي نافلة الأنبياء أي عبادة زائدة تورث صاحبا الخشوع والورع وفيها الرجاء للنبي ﷺ بنيل المقام المحمود ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ .

وهي أيضا عبادة زائدة للمؤمنين ينالون بها درجتي التقوى والإحسان﴿ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ﴾وبالمقابل يدخلهم المليك جل شأنه الجنات والعيون ﴿ إن المتقين في جنات وعيون ، آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ،كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ،وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ ١٥ :١٨ الذاريات .

وجاء في وصايا الرسول الكريم ﷺ في تعريفه مهر الجنة للمؤمنين قوله ﷺ (الجنة عروس مهرها غال ، ألا أدلكم على مهرها؟ أفشوا السلام وألينوا الكلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام)

وأما الثلاثة الكفارات فهي :-

١- إسباغ الوضوء على المكاره.

٢- وكثرة الخطى إلى المساجد.

٣- وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فلو أن هؤلاء ذاقوا حلاوة الإيمان وصلوا للصلاة حقها لنهتهم عن الفحشاء والمنكر﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ .

وأصل جميع الخطايا حب الدنيا وأصل جميع الفتن السعي إلى السلطة إذ يتخيل من يبطش بالناس ويروع الآمنين ويقتل المعصومين أنه يمكن أن يصبح رئيسا أو حاكما ببطشه وقتله للأبرياء وليس الأمر كذلك فإن الملك لله يورثه من يشاء من عباده وينزعه ممن يشاء من عباده وقد دلت آيات التنزيل على ذلك في قول الحق جل وعلا ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ﴾ ٢٦ :آل عمران.

أما البطش والقتل فى الخلق بغير الحق فهذا ظلم الإسلام منه براء وقد روى عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) أخرجه الإمام مسلم.[1]

وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال ،قال رسول الله ﷺ (لا تظلموا فتدعوا فلا يستجاب لكم ،وتستسقوا فلا تستسقوا وتسنتصروا فلا تنتصروا)رواه الطبرانى عن ابن مسعود.

وقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه فقال يا رسول الله إن لى مملوكين يكذبونني ويعصونني ويخونونني فأضربهم وأعاقبهم فكيف أنا معهم يوم القيامة،فقال رسول الله ﷺ إذا كان يوم القيامة يحتسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم فإن كان عقابك لهم زائد عن قدر ذنوبهم اقتص لهم منك،وإن كان عقابك لهم على قدر ذنوبهم كان كفافا أى لا لك ولا عليك فتنحى الرجل وبكى فقال له النبي ﷺ أما تقرأ قول الحق جل وعلا ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ ٤٧ :الأنبياء .

فقال الرجل يا رسول الله لا أجد لهؤلاء ولا لنفسي خيرا من أن أفارقهم أشهدك أنهم أحرار لوجه الله الكريم هكذا كان أبناء المجتمع يعرفن ما لهم وما عليهم فقد شربوا من معين الشريعة أحكاما إلهية وتيقنوا مراقبة الله الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم لهم وتذكروا يوما يأخذ فيه الله جل وعلا حق الضعفاء من الأقوياء والفقراء من الأغنياء والمملوكين من الملوك والأمراء ﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ ٢ :سورة الحج.

وقال رسول الله ﷺ (دعوة المظلوم وإن كان كافرا تحمل فوق الغمام ليس بينها وبين الله حجاب فيقول الله عز وجل، وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين) الإمام احمد عن أبى هريرة وأنس بن مالك رضى الله عنهما .

فانصر نفسك من نفسك وارحم الأبرياء والضعفاء والأطفال والشيوخ والنساء ولا تقتل بهمجية وعشوائية وتشوه الحنيفية السمحاء فأنت منسوب إليها ومحسوب عليها (مسلم) مؤمن ﴿ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطئا ﴾ ٩٢ :النساء .

﴿ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾ ٢٧٧ :الشعراء .

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أولئك هم المفلحون ﴾١٠٤ :آل عمران .

وقد سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا فقال له من أجهل الناس ؟ فقال الرجل من باع آخرته بدنياه قال عمر بل أجهل من ذلك من باع آخرته بدنيا غيره،أى اعتدى عليهم وظلمهم وقتلهم بغير الحق . اللهم فرج عنا وعن المسلمين ما أهمنا وأغمنا وأحزننا يارب العالمين اللهم اهدنا واهد بنا وأصلحنا وأصلح بنا يا مقلب القلوب أصلح فساد قلوبنا وأصلح أحوالنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴿ أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ﴾

وقال رسول الله ﷺ (الخلق كلهم عيال الله وأحب الخلق إلى الله عز وجل انفعهم لعياله) .

لا فرق في حسب ولا نسب ولا تفاضل فى لون أو جنس فإن الإسلام نادى أهله أن يتمسكوا بقانونه أن لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

والرسول الأعظم محمد ﷺ يقول(يبعث المرء ما عاش عليه).

فيا أهل القسوة والغلظة والبطش والترويع للآمنين والقتل للمعصومين بغير الحق أتحيون أن تبعثوا بين يدى الله عز وجل وأنتم على هذه الحالة ؟ يا لها من وقفة بين يدى الله القادر المقتدر الملك المنتقم جل جلاله القائل (وعزتي وجلالي لأقتصن من القرناء للقرعاء لماذا نطحتها بغيا وعدوانا) .

القصاص الإلهى يجرى فى البهائم والحيوانات وهم فاقدى التكليف فكيف بالإنسان صاحب العقل والتمييز والتكليف ألم تقرأ قول الحق عز ثناؤه ﴿ وخلق الإنسان ضعيفا ﴾ .

وقوله عز شأنه ﴿ الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير، ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون ﴾ ٥٤:٥٥ الروم.

فلماذا التناحر والإنشقاق والبطش بالخلق فسادا وظلما فيا ليت المعتدين على حرمات الخلق بسفك دماءهم وترويع أمنهم وقتلهم بغير الحق أن يفيقوا من غفلتهم ويعتبرون بمن مات قبلهم أن يمعنوا النظر فى قدرة الرب جل وعلا الذى أمهلهم بحلمه إذ من صفات الحليم عدم تعجيل العقوبة لعل المفسدين أن يتوبوا وينتهوا وأن يدققوا الحساب قبل الحساب وقبل أن ينزل بهم العذاب وقد يكون في الدنيا قبل الآخرة ليرتدع الظالمون ويعتبر أولوا العقول والقلوب وقد بين هذا المعنى قول الحق جل وعلا ﴿ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون ﴾٢١ :سورة السجدة.

فقد ينزل بهم العذاب القليل فى الدنيا وهو الأدنى ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وهو الأكبر المدخر لهم يوم الفصل فاتقوا الله عباد الله واعلموا علم اليقين أنكم ستموتون كما تنامون وستبعثون كما تستيقظون وستحاسبون كما تعملون وستجزون بالإحسان إحسانا

وبالسوء سوءا وقد حذر الحق سبحانه الظالمين لأنفسهم وللخلق أن يحسبوا أن أعمالهم وبطشهم بالخلق وغيهم الذى اتبعوه وظلمهم الذى فعلوه فى غفلة منه سبحانه وحاشا لله أن يغفل فيقول سبحانه ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ ٤٢ : إبراهيم

فاجتهدوا عباد الله ألا تفعلوا إلا الخير وألا تسعوا إلا للخير وألا تقولوا إلا الخير وتذكروا دائما قول الحق تبارك وتعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾.نتبين من الآية الكريمة أن الأمة لم تنل خيريتها إلا بأمرها الناس بالمعروف وهو إرشادهم إلى فعل الخيرات وعمل الصالحات وأن يأتوا كل حلال طيب عرّفه الشرع الحكيم لهم وألفه مجتمعهم ولذا يسمى (معروفا) وأيضا بنهيها الناس عن المنكر وهو اجتناب كل خبيث حرّمه الشرع وأنكر فعله المجتمع لما فيه من ضرر وإفساد للعقول والأموال والأجساد بتحذيرهم من إتيان المحرمات وفعل الموبقات التي تفتك بالفرد وبأسرته ومجتمعه لذا سمى منكرا وفى هذا قال رسول الله ﷺ معلم الإنسانية نبي الرحمة (سلوا الله اليقين والمعافاة فما أوتى أحد بعد اليقين خيرا من العافية).واليقين هو أن يتيقن العبد صدق لقاء ربه سبحانه وتعالى وأنه يبعثه بعد موته ويجازيه على كل أفعاله صالحها وطالحها ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ،ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ ٧:٨ الزلزلة.واليقين هو إسم من أسماء الموت أما فى أفعال العباد فهو التيقن والتثبت فى الأمر بمعنى أن يكون العبد متيقن من أمره ويأتى اليقين بمعنى حقيقة العلم ويأتى أيضا بمعنى حقيقة النظر إذن ينقسم اليقين إلى أربعة أقسام :-

١- التيقن والتثبت فى الأمر . ٢- علم اليقين وهو للسمع .

٣- عين اليقين وهى للنظر . ٤- حقيقة اليقين وهى لذوق .

أما كون اليقين يأتي بمعنى إسم من أسماء الموت فلقول الحق جل وعلا لرسوله الكريم محمد ﷺ ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ ٩٧:٩٩ الحجر . {حتى يأتيك اليقين أى حتى يأتيك الموت حقيقة }

نتبين من الآية الكريمة ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ﴾ أن التسبيح والسجود لله عز وجل هما شفاء ضيق الصدر وكذلك العبادة حتى يموت العبد ويأتي اليقين بمعانى كثيرة منها أنه إسم من أسماء الموت فلا ينصلح حال العبد وحياته دنيا وآخرة إلا بمعرفته اليقين الذى يدفع عنه عقوبات الآخرة والعافية التى تدفع عنه أمراض الدنيا وقد قال الرسول الكريم ﷺ (لا تزال لا إله إلا الله تنفع قائلها ما لم يستخف بحقها قالوا وكيف يستخف بحقها يا رسول الله ؟ قال ﷺ إذا تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) رواه الأصبهانى عن أنس بن مالك رضى الله عنه.

وفي بيان صدق الإيمان وكيف ينعكس الصدق على الصادقين ما حكاه القرآن العظيم عن حال قوم يوم الهول والفزع يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قال الله عز شأنه ﴿ هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ﴾ ١١٩ : المائدة .

لأن الصدق كان دأبهم، متصلاً بعقولهم، متأصلاً فى قلوبهم، يظهر جلياً بوضوح يعبرون عنه بأقوالهم وأفعالهم ، لا يرغبون عنه بديلاً، ولا يشترون به ثمناً قليلاً خلقهم الصراحة في الأقوال والصدق فى الأفعال وتقوى الله عز شأنه وخشيته فى الجوارح لم يكن له وجهان ولا لسانان وللأسف ورثنا منهم الإيمان تقليداً

وتظاهرنا بالإسلام عادةً أفلتت منا كثير من أخلاق المسلمين الأوائل وفتحت أبواب النفاق على مصراعيها ليدخلها المنافقون والمنافقات تجار البضاعة الكاذبة أرباب الغش والخداع يلبسون ثياب الضأن وألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب يظهرون للناس غير الذى يخفون ويكتمون في أنفسهم مالا يبدون ويحسبون أنهم على شيء ألا أنهم هم الكاذبون قال رسول الله ﷺ (إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بألسنتهم وتباغضوا بقلوبهم وتقاطعوا بالأرحام لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) رواه الطبرانى عن سلمان إلفارسي رضى الله عنه .

وقال رسول الله ﷺ (إن الله تبارك وتعالى لا يقبل من العمل والخلق والعبادة إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم). أبو داوود والنسائي.

وقال ﷺ (إن الله جل جلاله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أجسادكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) أخرجه الإمام مسلم . وفى رواية للإمام البخاري (ولكن ينظر إلى قلوبكم التقوى ها هنا وأشار إلى صدره ثلاثا) .

وقال رسول الله ﷺ (ما أسر عبد سريرةً إلا ألبسه الله رداءها إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً) . أخرجه الطبرانى فى الكبير عن جندب ابن سفيان الجبلي .

وفى بيان يسر الإسلام واللين والتلطف فى المعاملات، ما حكاه أنس بن مالك رضى الله عنه قال دخل أعرابي مسجد رسول الله ﷺ والرسول يحدث أصحابه فشمر الأعرابي عن ثوبه وأطلق بوله فى جانب من المسجد فغضب الصحابة وهموا ليضربوه فناداهم النبي ﷺ بحكمته ولطفه ورحمته(دعوه لا تزرموا عليه بوله أى لا تجعلوه يحبس بوله وهر يقوا على بوله سجلا من ماء أى دلوا من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعثروا) الإمام مسلم.

ثم التفت ﷺ إلى الأعرابي وقال له :يـا أخا العرب إن المساجد لـم تبن لمثل هذه القاذورات إنما هي للعبادة والصلاة .فما أجمل هذا الـدين وما أجمـل هـذه الأخلاق النبويـة الكريـمة وصدق الحق سبحانـه إذ يقول ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ ١٨٥ : البقـرة . يسـر مـن الله جـل وعلا فى شرعه ولين وتلطف خلق رسول الله ﷺ (إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه) الإمام أحمد والترمذى .

فلا جمـود فيه ولا تعقيد لا تكلـيف فـوق طـاقة الإنسان لاشدة ولا قسوة ولا إيذاء نفس أو ضرر جسد وصدق الحق سبحانــه إذ يقول ﴿ لا يكلـف الله نفسا إلا وسعهـا لـها ما كـسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ ٢٨٦ :البقرة .

والقاعدة الفقهية تقول (إن صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان) .

فلا يأس فى الإسلام ولا قنوط بل تفاؤل ورفـق وتيسير ورحمة وحـب وتعـاون علـى البـر والتقوى صحة الجسد مع حياة القلب مع رقى الـروح إلى أعلى الملكـوت مـع أمـان الإنسـان واطمئنانه وتبارك المنزل على رسوله ﷺ ﴿وما جعل عليكم فى الدين من حرج ﴾٧٨ الحج. فالإسلام هو الحق من عند الله ارتضاه سبحانه لعباده الذين وفقهم جل شأنه لطاعته وأتمم عليهم نعمته وأكرمهم بالتحلي بخلق الإسلام مخاطبا بسياج اليسـر والرحمـة والسهـولة وصدق الحق سبحانـه إذ يقول﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ ٣: المائدة .

وفى دين الكمال وتمام النعمة والرضي الإلهى عن من أدى للإسلام حقه فإن لجسـد المسلـم حقا عليه ولزوجه حقا عليه ولولده حقا ولوالديه حقا ولدينه حـق فواجـب أن يـؤدى لكل ذي حق حقه إن الله تبارك وتعالى غنى عن تعذيب أنفس العباد فما أجمل هذا الـدين ومـا أجمل أن نتمسك به خلقا وسلوكا ولقد رأى النبى ﷺ حبلا مشدودا إلى ساريـة فى المـسجد

فقال ﷺ (لمن هذا الحبل).قالوا لابنتك فاطمة تصلى الليل فإذا تعبت اتكأت عليه فقال ﷺ(حلوا ليصل أحدكم بنشاط فإذا تعب فليرقد) .

فالإسلام دين الله عز وجل كله نشاط ويسر وسهوله أوامر إلهية بما يساعد الإنسان والمجتمع ويغيثه من كل كرب وهم فكلما ضاق بالمؤمن هموم معيشته ناداه مناد الصلاة أرحنا بها يا بلال لأن الصلاة هى الصلة بين العبد وربه وهى انقطاع عن الخلق وتواصل بالخالق سبحانه ففيها الروعة الروحية والراحة النفسية والسمو القلبي فكل ما يؤدى إلى ضرر الجسد واحتمال زيادة المرض فإن الإسلام رخص للمريض أن يصلى جالسا أو مضطجعا على قدر طاقته فلا ضرر ولا ضرار ومن كان الوضوء يؤذيه تيمم بالتراب (الصعيد الطيب).أى التراب الطاهر من بطن الأرض لقول الحق جل شأنه ﴿فتيمموا صعيدا طيبا ﴾ ٦: المائدة.

وروى الإمام البخاري في صحيحه أن ثلاثة نفر جاءوا إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألوهن عن عبادته فأخبروهم بها فكأنهم حسبوا أنها قليلة فقال الأول أما أنا فأقوم الليل ولا أنام وقال الثاني وأما أنا فأصوم النهار ولا أفطر وقال الثالث وأما أنا فلا أتزوج النساء فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم(ما هذه المقالة التى بلغتني عنكم ؟ أما وإني أتقاكم وأخشاكم لله عزّ وجل أقوم الليل وأنام وأصوم النهار وأفطر وأتزوج النساء هذا من سنتي فمن رغب عن سنتي فليس منى) الإمام البخاري.

فليست العباده عقوبة تتعب كاهل الإنسان ولا هي لصالح الرب جل وعلا وإنما هي لصالح العباد تهذيب للنفوس وتربية للضمائر ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾٤٥ :العنكبوت.

وفى بيان حرمة الدماء وبغض الإلحاد عن عبد الله بن العباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال(أبغض الناس إلى الله ثلاثة ملحد فى الحرم، ومبتغ فى الإسلام سنة الجاهلية ، وطالب دم امرىء بغير حق ليريق دمه) الإمام البخاري .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) متفق عليه.

وعن الأحنف بن قيس قال ذهبت لأنصر هذا الرجل يقصد الإمام على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه فلقيني أبو بكرة الثقفي فقال أين تريد ؟ قلت أنصر هذا الرجل فقال ارجع فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار فقلت يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال ﷺ إنه كان حريصا على قتل صاحبه) متفق عليه .

أنكر أبو بكرة على الأحنف بن قيس المشاركة فى القتال مع الإمام على رضى الله عنه مع أن خروج ا الأحنف كان بتأويل سائغ فما بال الذين يخرجون على المسلمين بالمتفجرات والسيارات المفخخة والقنابل والأحزمة الناسفة .

وفى بيان حرمة العمليات الإنتحارية وأنها ليست من الجهاد والإسلام فى شىء ما رواه جندب بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (كان فيمن قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات فقال الله عز وجل بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة).الإمام البخاري ومسلم .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال (من قتل معاهدا لم ير ريح الجنة وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما) أخرجه الإمام البخاري والنسائي . وفى رواية (أنه من قتل رجلا من أهل الذمة) .

قال ابن الأثير الذمة والذمام بمعنى العهد والامان والضمان والحرمة والحق ومنه ما ورد في حديث رسول الله ﷺ (يسعى بذمتهم أدناهم) أى إذا أعطى واحد من جيش المسلمين العدو عهدا بالأمان جاز ذلك على جميع المسلمين وليس لهم أن يخفروه) أى لا ينقضوا عهده .

(وقد أجاز الفاروق أمان عبد على جميع الجيش) النهاية فى غريب الحديث .

وإنما سموا أهل الذمة لدخولهم على المسلمين فأصبحوا فى ذمتهم وفى أمانهم فالذمة هي العهد والأمان وها هو الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه أدركته الصلاة وهو أمام كنيسة القيامة فى القدس وأخذ يراود نفسه هل أدخل أصلى فالأرض طاهرة ثم لا يفعل يقول لنفسه أخشى أن يأتي يوم فيقال هنا صلى عمر فيتخذها المسلمون مسجدا وليس لهم بها أى حق وهو بذلك ينبه المسلمين إلى حرمة حقوق الآخرين ولو كانوا على غير دين ويحفظ لهم أرضهم وديارهم لأنه حفظ من رسول الله ﷺ

قوله (من ظلم قيد شبر من أرض طوقه الله من فوق سبع أرضين) الإمام مسلم .

وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة قال رجل ولو شيئا يسيرا ؟قال ﷺ ولو قضيبا من أراك) الإمام مسلم وأحمد وابن ماجه .

فماذا حل بأمة كانت خير الأمم مجتمع متآلف متآخ ارتقى بالأخلاق الفاضلة والإيثار والتعاون على البر والتقوى إلى درجة الملائكية ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾.

يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ﷺ ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ .

﴿ أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ﴾ ٤ :سورة الأنفال .
فما بال اليوم ؟ تغير الحال وتبدلت النفوس وساءت الظنون الطمع غالب على الناس يأكل بعضهم بعضا لا عن جوع بل عن جشع لا يراعون حرمة للغير ولا ورع فإذا كان الحال اليوم هو أنه لا حرمة ولا ورع عن حقوق الآخرين سواء من المسلمين أو غير المسلمين بل تجاوزت الحقوق سفك الدماء دون تمييز بهمجية وعشوائية ترويع للآمنين وقتل للمعصومين بغير الحق وهى أفعال ليست من الإسلام فى شئ ولا يمكن أن تسمى مرتكبيها بمسلمين والإسلام منهم براء إن هي إلا أفعال شيطانية الشيطان أمرهم بها يعدهم ويمنيهم ﴿ وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾ وإنني إذ أنبئهم إلى سوء ما هم فيه ليفيقوا من غفلتهم وليحذر كل منهم قبل أن يندم ولات ساعة مندم فلعل الطريق أن ينقطع بك فجأة ويأتيك الأجل قبل أن تتوب وتنادى من تراه فى القيامة ولكنه لا يسمعك ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ﴾١٤ : فاطر.
وحين تنزل القبر لا تمنع نفسك عذابا لاحقا بك بأفعالك الرديئة تستغيث منه ولات مغيث وتحذر أحبابك الأحياء فى الدنيا تقول يا أهلي ويا أحبابي ويا جيراني لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بى فالفساد فى الأرض يودى بأهله مواطن الردى وأردى المواطن دركات جهنم والأفعال الهمجية من بطش وقتل وعنف وتخريب ودمار تضع أصحابها جهنم وبئس القرار وانظر إلى عظيم وصايا لقمان لابنه فى بيان الدقة الإلهية والحصر لأفعال العباد ما قرره التنزيل قول الحق عز شأنه ﴿ يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السماوات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير ﴾ ١٦ : لقمان .

وانظـر إلى كلمـة مثـقـال في بيـان عظمـة الدقـة الإلهية فى الإتيان بدقائق الأمور مهما تناهت في الصغر وقل حجمها فإن الله تبعـالى قـادر علـى أن يأتي بهـا .

وفى بيان فضل الخروج في سبيل الله عز وجل ما رواه كعب بن عجره قال جلس رسول الله ﷺ مع أصحابه يوما فمر رجل عظيم البنية قوى العضلات فقالوا لو أن هذا استعمل شبابه في سبيل الله ؟ فقال لهم الرسول ﷺ (إن خرج على أبوين شيخين فهو في سبيل الله حتى يرجع ،وإن خرج على أطفال صغار يعفهم ويؤيهم فهو فى سبيل الله حتى يرجع وإن خرج على نفسه ليعفها عن الحرام فهو فى سبيل الله حتى يرجع وإن خرج رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان حتى يرجع) الطبراني عن كعب .

وكان رسول الله ﷺ يحب العامل ويكرمه ويفضله على العابد المتواكل وقد جيء برجل كثير الصلاة والصيام والعبادة فسأل رسول الله ﷺ من يخدم هذا ويطعمه ؟قالوا كلنا يا رسول الله قال ﷺ (كلكم خير منه) رواه ابن المبارك عن أبى قلابة فى كتاب السنن. وقال ﷺ (من أمسى كالا من عمل يديه أمسى مغفورا له)ابن العباس. وفى لفظ الإمام مسلم (من بات كالا من عمل يديه بات مغفورا له).

وكان الرسول ﷺ يتوعد من قست قلوبهم فأساءوا استخدام النعم فغدروا عهودهم وظلموا أقوامهم بقوله ﷺ (ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استوفى أجيرا فلم يؤد إليه أجره) أبو يعلى عن أبى هريرة .

إذن فنظام الحياة فى الإسلام يتطلب السعي والعمل لخيري الدنيا والآخرة ومن تواكل وقعد عن طلب الرزق لفظته الحياة وبرء الإسلام منه وصار عالة على المسلمين وفتنة لغيره في دينه .

والله جل وعلا قسم الأرزاق بين العباد كل حسب جهده وهمته وأخذه بالأسباب لقوله عز شأنه ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾٣٩ :النجم .

وفي بيان الرضي بما قسم الله جل شأنه لتيسير عجلة الحياة قوله تعالى ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون ﴾ ٣٢: الزخرف.

ولذا قيل (من لزم الرقاد عدم المراد ومن كثر تواكله كثر إهماله ومن كثر إهماله ضاعت أمواله ومن دام كسله خاب أمله) وكان الرسول ﷺ يصف المؤمن فيقول (ما أعظم أمر المؤمن يهتم لأمر دنياه وآخرته) رواه ابن قتيبة عن ابن عمرو.أي أنه لا يضيع نصيبه من الدنيا عملا بقول الحق جل وعلا ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾٧٧ : القصص.

وهو الإعتدال في كل الأمور فلا تنسيه الدنيا بزخارفها الدين وأداء الحقوق لأنه متيقن أنها عرض زائل وأنها دار ممر وليست دار مستقر وإذا أردنا أن نشم رائحة الإسلام الطيبة وتعاليمه السمحة لابد لنا من الزهد في الدنيا والزهد في الدنيا هو أن نجعلها في أيدينا وليست في قلوبنا وأن ندرس حياة صحابة رسول الله ﷺ الذين كانوا يواصلون الليل بالنهار عملا في طلب الأرزاق وعبادة للعزيز الخلاق حتى بلغوا من النور أنوارا ففازوا بعلا الدرجات في روضات الجنات دار القرار وقد شبه الحبيب المصطفى ﷺ المؤمن بالنحلة وهو تشبيه ما أجمله فقال(مثل المؤمن كالنحلة وقعت فلم تكسر ولم تفسد ،غدة تأكل الحلو والمر ، ثم تضعه كله حلوا) أبو يعلى في الحلية والترمذي في مسنده والحاكم في المستدرك.

ما أجمل التشبيه وفيه بيان أن المؤمن لا يأتي إلا بطيب الأقوال وصالح الأعمال لأنه يعلم أن الحق تبارك وتعالى محيط بدقائق الأمور دل على ذلك قول الحق جل جلاله ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ ١٠: فاطر .

أما الفساد في الأرض والإفساد فهو من أفعال أصحاب جهنم وبئس المهاد وليس من أفعال المؤمنين الذين تيقنوا يوم الميعاد وعلموا أن الله تعالى بصير بالعباد.﴿ فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلا الله إن الله بصير بالعباد ﴾ ٤٤: غافر .

وفي بيان طيب الصفات وجميل العلاقات حتى مع الكفار عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال (أوحى الله جل جلاله إلى خليله إبراهيم عليه السلام أن يا إبراهيم حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار ،ولقد سبقت كلمتي لمن حسن خلقه أن أظله تحت ظلي يوم لا ظل إلا ظلي ولأسقينّه من حظيرة قدسي ولأدنينه جواري وأنسى) رواه الترمذي والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة .

وجوار المليك هو كما قرره التنزيل قول الحق جل وعلا ﴿ إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ ٥٤: ٥٥ القمر .

وحظيرة قدسه جل شأنه التى وعد بها المتقون في الجنة ونعيمها موضحة في قوله سبحانه ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم ﴾ ١٥ : محمد.

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال (ألا أخبركم بأحبكم إلى وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة ؟أحاسنكم أخلاقا الذين يألفون ويؤلفون ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف) رواه الحاكم في المستدرك عن أبي الدرداء .

وبهـذا نتبين أن دين الإسـلام يقـوم على أساسين متينين وحقين لازمـين همـا العبادة الخالصة لله عز وجل والمعاملة الطيبة مع عبـاده أجمـعين دون تمييز أو تفريق لجنس أو نوع أو ديـن أو عصبة أو عصبية أو عشيرة أو لون فالخـلق سـواء فـى الحـقوق والواجبـات والمعامـلات دون النظـر إلـى النوع أو الديانات فى قوله ﷺ (إن ربكـم لواحـد وإن أباكـم لواحد كلكـم لآدم وآدم من تراب لافضل لعربي على أعجمـي ولا لأبـيض على أسـود إلا بالتقوى) متفق عليه .

﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ ولم يقل سبحانه أغناكم أو أقواكم ولقد وضح الرسول الكريم ﷺ سبيل شريعته السمحاء وسبيل نجاحه فى دعوته لنقتدي بأفعاله ونسترشد بأقوالـه فقـال ﷺ (إنمـا بعثت معلما لأتمم مكـارم الأخـلاق) الإمام البخاري ومسلم.

ونلاحظ أنه ﷺ لم يتهم الآخرين بنقص فى الأخلاق وإنمـا يبين الهـدف مـن بعثتـه ﷺ ولعلنا ندرك أن تتممة مكارم الأخلاق هـي الحكمة من البعثة المحمدية وعن عـبادة بن الصامت رضى الله عنه :أن رسـول الله ﷺ قـال (ألا أدلكـم على مـا يرفع الله تعـالى بـه الدرجات؟ أن تحلم على من جهل علـيك وتعفـوا عن من ظلمـك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك) الإمام البخاري ومسلم.

ونتبين من طيب حديث النبى ﷺ أن أجمل ما يتزين بـه المؤمن في عبادتـه لله جـل وعـلا وأعظم ما يرتقى به بين الناس أن يتخلق بأخـلاق النـبوة التى فطر الله عليها النبى ﷺ . وأثنى عليه بهـا فى قوله جل جلاله ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ كما وهبه سبحانه رحمـة من فيض رحمته ونقى قلبه من الفظاظة والغفلة فقال عز شأنه ﴿فبما رحمة مـن الله لنـت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهـم وشاورهـم فى الأمر ﴾ ١٥٩.آل عمران.

ومعلوم أن رسول الله ﷺ زكاه ربه فقال ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾٤ :القلم .

وزكاه قومه قبل البعثة فأسموه الصادق الأمين وبعد الإسلام سئلت عنه زوجه فقالت كان خلقه القرآن ولقد بين لنا وسول الله ﷺ بأفعاله قبل أقواله وبأخلاقه قبل مواعظه وبصدقه قبل نطقه وبتواضعه قبل بيانه كان رسول الله ﷺ قرآنا يمشي على الأرض وبين لنا أن الأخلاق والإيمان شيئان متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر وقد توالت الأحاديث النبوية الشريفة التي تبين أن كمال الدين لا يتحقق إلا بحسن الخلق ومنها قوله ﷺ (أحسن الناس إيمانا أحسنهم أخلاقا) الإمام مسلم. وأن حسن الخلق يوجب محبة الرب جل وعلا لعبده صاحب الأخلاق الحسنة في قوله ﷺ (من أحب عباد الله إلى الله جل جلاله أحسنهم أخلاقا) الإمام البخارى. وكما أسلفنا أن كمال الإيمان لا يتحقق إلا بحسن الخلق في قوله ﷺ (أكمل الناس إ يمانا أحسنهم أخلاقا) رواه ابن حبان عن أبى هريرة.

ولا شك في أن أفضل خير يعطاه الإنسان في حياته الدنيا هو الخلق الحسن لقول الرسول ﷺ (خير ما يعطى الإنسان خلق حسن) الإمام أحمد والنسائي .

وقد بين رسول الله ﷺ أنه أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة خلق حسن بقوله ﷺ (ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن) الترمذي عن أبى الدرداء .

كما بين رسول الله ﷺ أن العبد يبلغ عظيم علا الدرجات وأرفع مقامات الكرامات بحسن خلقه بقوله ﷺ (إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم علا درجات الجنات) الطبرانى عن أنس رضى الله عنه .

وقال ﷺ (إن حسن الخلق يزيل الخطايا كما يزيل الماء الجليد) ابن حبان .

وانظر إلى عظيم خلق رسول الله ﷺ حينما عرض عليه الأسرى وقفت امرأة وقالت يا محمد لقد هلك الوالد وغاب عني الوافد فامنن عليّ منّ الله عليك خل عني ولا تشمت بي أحياء

العرب ،فإن أبى كان سيد قومه يفك العاني ويعفو عن الجاني ويحفظ الجار ويحم الزنار ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشى السلام ويحمل الكل ويعين على نوائب الدهر وما أتاه أحد فى حاجة ورده خائبا أنا ابنة حاتم الطائي فقال لها الرسول ﷺ هذه من صفات المؤمنين ولو كان أبوك مؤمنا لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق ارحموا عزيز قوم ذل وغنيا فقر وعالما ضاع بين الجاهلين .

فاستأذنته أن تدعوا له فقالت أصاب الله ببرك مواقعه ولا جعل لك إلى لئيم حاجة ولا سلب عن كريم نعمة إلا جعلك سببا فى ردها ثم رجعت إلى أهلها فقالت لأخيها عدى ائت هذا الرجل فإني رأيت منه هديا وسمتا ورأيت فيه خصالا تعجبني يحب الفقير ويفك الأسير ويرحم الصغير ويعرف قدرالكبير وما رأيت أجود ولا أكرم منه فإن يك نبيا فالسابق فضله وإن يك ملكا فلم يزل في عز ملكه وأسلمت واستجاب لها أخوها وقدم على نبي الرحمة والمكارم والأخلاق من شهد بفضله الأعداء قال أخوها دخلت على محمد وهو فى المسجد فسلمت عليه فرد على وقال من الرجل؟قلت عدى بن حاتم الطائي فقام ورحب بى وإنطلق بى إلى بيته وفى الطريق إستوقفته امرأة ضعيفة فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها فقلت فى نفسى مال هذا قلك ؟ ثم قضى بى حتى إذا دخل داره تناول وسادة محشوة ليفا فأعطاها لى وقال اجلس عليها وجلس هو على الأرض النبى ﷺ يقدر رجلا على غير دينه ثم بدأ بينهما حديث شيق طيب بعد أن ملك النبى ﷺ قلب صاحبه وعقله بخلقه وسعة حلمه ﷺ فما تمالك عدى نفسه إلا أن يقول من صميم قلبه (أشهد أن لا إله إلا الله ،وأشهد أن محمدا رسول الله) .

أكرمه الله عز وجل بالإسلام لما رأى من مكارم أخلاق النبى ﷺ أنها عظمة الأخلاق الفاضلة التى ترفع صاحبها علا الدرجات فى الدنيا والآخرة إذ كانت هي اللبنة الصلبة فى بناء

مجتمع المدينة الفاضل هذه الأخلاق النبوية هي التي تخيلها الفلاسفة وحققها رسول الله ﷺ لأتباعه وفي مجتمعه ولمن سار على دربه واقتدى بهديه القويم وخلقه العظيم وصدق الحق سبحانه إذ يقول ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾٤ : القلم .

فهذه التربية النبوية والثقافة الإسلامية والأخلاق المحمدية لا تفرق بين الناس في المعاملات والحقوق والواجبات ولا تتعصب لدين من الديانات وإنما تدعوا الناس إلى عبادة الله وحده لاشريك له فتدلهم على الإسلام الحقيقي بجوهره السليم ومنهجه القويم وصفائه الحميم فلا إيمان كامل ولا جنة ولا نعيم ولا سعادة للعباد في الدنيا وفي المعاد بغير الألفة والرحمة والرأفة والتواضع للعباد ولا يمكن أن نسمي المتشددين والمتعصبين والمسيئين فهم تعاليم وشريعة الإسلام مسلمين .

وكيف تبدل سماحة الإسلام ورحمته بالقسوة والغلظة والبطش والعنف وترويع الآمنين وقتل المعصومين والخروج على الناس بالسيارات المفخخة والمتفجرات وقتل الأبرياء بغير ما اكتسبوا وتوجيه الرشاشات إلى صدور جنود الحكومات المسلمة وهم أهل قبلة وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل المصلين في الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ (إني نهيت عن قتل المصلين) أخرجه أبو داوود عن أبى هريرة .كما نهى رسول الله ﷺ عن قتل غير المسلمين بقوله من قتل نفسا بغير حلها حرم الله عليه الجنة أن يشم ريحها) أخرجه النسائي عن أبي بكرة الثقفي.

إن من أهم دعامات الإسلام في منهجيته العدل والمساواة بين الناس في القيمة الإنسانية تتجلى واضحة حينما مرت جنازة ليهودى والرسول ﷺ جالس بين أصحابه فنهض واقفا للجنازة فقال الصحابة لماذا تقف يا رسول الله ؟أوليست جنازة يهودى فقال ﷺ إنه إنسان إنما أقف لإنسانيته وهنا نتبين عظمة الإسلام وعظمة تعاليم رسوله الكريم ﷺ

وهكذا أثمرت ينابيع مدرسة الرسول ﷺ بالعمل لا بالقول فقط ولكن بالسلوك والقدوة لا بالخطبة والموعظة فقط وبهذا يرى الأعداء والغرباء الأدعياء إلى الإسلام بفهم صحيح من خلال هذه الأخلاق الفاضلة فما تزعزعت أركان الإسلام إلا بالدعوات والسلوكيات المخالفة والجماعات المتفرقة وقد قال الرسول ﷺ فى حجة الوداع عن أبى بكرة نفيع بن الحارث الثقفى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (إن دمـــاءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا هـــل بلغت ؟ قالوا نعم قال اللهم فاشهد) .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال كنا نتحدث عن حجة الوداع والنبي ﷺ بين أظهرنا فحمد الله عز وجل وأثنى عليه وقال ﷺ (ألا إن الله جل شأنه حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا ألا هل بلغت ؟ قالوا نعم قال ﷺ ويلكم لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)الإمام البخاري فى الأدب المفرد.

وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (كيف بالكم إذا فسق شبابكم وطغت نساؤكم وتركتم جهادكم قالوا أوكأن ذلك يا رسول الله ؟ فقال ﷺ نعم وأشد منه سيكون كيف بالكم إذا تركتم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قالوا أوكأن ذلك يا رسول الله؟ قال ﷺ نعم وأشد منه سيكون كيف بالكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا أو كأن ذلك يا رسول الله ؟ قال ﷺ نعم وأشد منه سيكون يقول الله جل وعلا (وعزتى وجلالي لأتيحن عليهم فتنة تجعل الحليم فيهم حيران) رواه ابن أبى الدنيا عن أبى أمامة الباهلى وأبو يعلى عن أبى هريرة رضى الله عنه .

اللهم فرج عن المسلمين ما أهمهم وما أغمهم وأذهب أحزانهم يا رب العالمين اللهم اهـدنا واهد بنا وأصلحنا وأصلح بنا يا مقلب القلوب أصلح فساد قلوبنا وأصـلح أحوالنا فى الأمور كلها إنك نعم المولى ونعم النصير اللهـم فـرج عن المسلمين ما أهمهـم وما أغمـهم وأذهب أحزانهم يارب العالمين اللهم يسر لنا طريق الهدى اللهم اهدنا واهد بنـا وأصلحنا وأصلح بنا يا مقلب القلوب أصلح فساد قلوبنا وأصلح أحوالنا فى الأمور كلهـا وأجـرنا من جـزى الدنيا ومن عذاب الآخرة وها نحن نعرض بضاعتنا ونذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنيـن ولا ينتفع بها المعاندين الغافلين وإنمـا يتذكر من كان له قلب ﴿إن فى ذلك لذكرى لمن كـان لـه قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ ٢٧: ق.

وهى بضاعـة ثمينة لأنها هدى رسول الله ﷺ الذى لا ينطـق عن الهـوى ﴿إن هو إلا وحى يوحى﴾ ٤: النجم .

يتذوق حلاوتـهـا ويعيش نعيمهـا من ذاقـوا حلاوة الإيمان الذين زكوا أنفسهـم بالطاعـة وأخلصوا لله عز شأنه فكان لهم حصن ومناعة فيا ليتنا نزكى أنفسنا بالتواضع لمن ندعوه إلى الله عز وجل وأن نخلص النية فى القول والعمل وأن يكون التلطف واللين فى النصيحة هما السمة بين المؤمنين ﴿ وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط مستقيم ﴾٢٤: الـحج .

فقد دخل رجل على هارون الرشيد وقال له إننى واعظك ومشدد عليك فاقبل منى فقال لـه هارون لن أقبل منك ولن أسمع لك فإن الله عز وجل أرسل من هو خير منك إلى من هو شـر منى أرسل موسى عليه السلام إلى فرعون وأوصاه بلين القول فى الذكرى فقال جل شأنـه ﴿ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾٤٤: طه .

فواجب المسلم التلطف مع الأهل ومع البناء ومع الجيران ومع الأقارب ومع غير المسلمـين ممنن يدعوهم إذا كان داعية .

الإعتدال في القول والعمل

الإعتدال هو التوسط والإقتصاد وعدم الإفراط في الأمور كلها وهو مهم في حياة الأمة وهو أفضل طريقة يتبعها المؤمن ليؤدى ما عليه من واجبات نحو ربه سبحانه ونحو نفسه ونحو مجتمعه وقد أمر النبى ﷺ بالإعتدال في كل شيء حيث قال ﷺ (تبلغوا أى الزموا التوسط في تأدية أعمالكم تحققوا ما تريدون على أكمل وجه)رواه الإمام البخارى وأحمد.

ومعلوم أن الإعتدال فضيلة مستحبة في الأمور كلها والإعتدال هو خلق يجب أن يتحلى به المؤمن في كل جوانب حياته من عبادة وعمل وإنفاق ومأكل ومشرب وملبس وطعام والمسلم يؤدى ما عليه من فرائض ونوافل من غير أن يكلف نفسه فوق طاقته وقد قال الرسول ﷺ (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحداً إلا غلبه فسددوا وقاربوا وبشروا واستعينوا بالغدوة أى أول النهار والروحة اى السير بعد الظهر وشيء من الدلجه أى السير أول النهار) والمعنى أى استعينوا على أداء العبادة بصفة دائمة في الأوقات المنشطة ولنا في رسول الله ﷺ القدوة الحسنة في كل شيء في الإعتدال وغيره وقد جاء ثلاثة نفر إلى بيت النبى ﷺ يسألون أزواجه عن عبادته فلما علموها قال احدهم أما أنا فأصلى الليل كله وقال الآخر أنا أصوم الدهر لا أفطر وقال الثالث وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء الرسول ﷺ فقال(أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم لله واتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس منى) رواه الإمام البخارى .

وكان أبو الدرداء رضى الله عنه كثير العبادة من صلاة وصيام يصوم النهار ويقوم الليل وذات يوم زاره سلمان الفارسي رضى الله عنه فلما رآه يرهق بنفسه بكثرة العبادة نصحه

قائلا إن لربك عليك حق ولنفسك عليك حقا ولأهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه فلما علم الرسول ﷺ قال(صدق سلمان) الإمام البخارى .

ومعلوم أن الإعتدال فى كل شيء خلق مستحب فى كل أعمال الإنسان وأنواعه كثيرة منها الإعتدال فى العبادة والإعتدال فى الطعام والشراب والإعتدال فى الصمت وفى الكلام وفى النوم وفى القيام ولذا قال إبراهيم النخعى رحمه الله تعالى إنما هلك من قبلكم بثلاث خصال بفضول الكلام وفضول الطعام وفضول المنام وأسعد الناس من له قلب عالم وبدن على البلاء صابر وقناعة بما قسمه الحكم العادل جل جلاله وروى أن رجلا من بني إسرائيل جمع ثمانين تابوتا من العلم فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أن قل لهذا لو جمعت كثيرا من العلم لن ينفعك إلا أن تعمل بثلاثة أشياء هى :-

١-لا تحب الدنيا فليست بدار المؤمنين .

٢-ولا تصاحب الشيطان فليس برفيق المؤمن .

٣-ولا تؤذ أحدا فليس بسبيل المؤمنين.

والإعتدال فى الإنفاق يتحقق عندما ينفق المسلم دون إسراف أو بخل وقد حث النبى ﷺ على الإقتصاد فى النفقة بقوله ﷺ (الإقتصاد نصف المعيشة) الخطيب.

الإعتدال فى العمل والراحة والمحافظة على الوقت والهدف من ذكر الإعتدال فى هذا الكتاب الإعتدال فى ألدين والتدين فلا تشديد فى الدين ولا مغالاة ولا إسراف ولا إجحاف فى التدين يؤدى إلى التطرف والعنف والتفرق والإختلاف والبطش والقتل والتهور وهى أمور ليست من الإسلام فى شيء وقد حذر الحق تعالى من هذه الأمور بقوله سبحانه ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ ٤٦ : الأنفال .

الرفق

الرفق هو التلطف بالرحمة والشفقة مع كل المخلوقات من إنسان وحيوان ونبات وحتى مع الجمادات فلا يكسر ولا يفسد والبعد عن القسوة والغلظة والشدة ومنه العطف على البؤساء والضعفاء ومعاملة جميع الخلق بالرأفة واللين ولقد أمر الحق جل وعلا المؤمنين بالتحلي بخلق الرفق فى كل شيء بقوله سبحانه ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ ١٩٩ : الأعراف.

وقال جل شأنه ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ﴾٣٤ : فصلت.

والرفق من موجبات الألفة والتواصل وهو سبب للسلام والوئام وعماد السعادة والنظام فكثيرا ما قطع الجحود التواصل وكم أفسد العنف النظام وسبب العداوة وحمية الإنتقام وكم أخل أعمالا وضيع آمالا ولقد كان رسول الله ﷺ أرفق الناس وألينهم وقد أتى إليه أعرابي وطلب منه عطاء وأغلظ له في القول فتبسم رسول الله ﷺ في وجهه ثم أعطاه حمولة جملين من طعام وكان الرسول ﷺ يلاعب الحسن والحسين ويقبلهما ويحملهما على كتفيه .

وتحكى زوجه عائشة رضى الله عنها عن رفق النبى فتقول (ما خيير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان ﷺ أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺلنفسه فى شيء قط إلا أن تنتهك حرمات الله عز وجل فينتقم لله) متفق عليه.

والرفق خلق عظيم لا يوجد فى شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانــه وقد قال رسول الله ﷺ (إن الرفق لا يكون فى شيء إلا زانه أى حسنه وجمله ولا ينزع من شيء إلا شانـه أى عابه) الإمام مسلم.

ولقد كان رسول الله ﷺ ابعد ما يكون عن الغلظة والقسوة والشدة وقد كان هذا سبب إلتفاف الناس حوله مسلمين وغير مسلمين وقد بين التنزيل أن الرفق واللين من مقتضيات الرحمة ومن مشتقاتها فى قول الحق جل وعلا ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليـظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ ١٥٩ :آل عمران.

وقد سبق وأن بينا أن الله تعالى أوحى إلى خليله إبراهيم عليه السلام أن يا إبراهـيم حسـن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار وهى أعلى مراتب الرفق وقـد حـث النبى ﷺ على الرفق فقال (إن الله تبارك وتعالى رفيق يحب الرفق فى الأمـر كلـه) متفـق عليه.

ومن أجمل أنواع الرفق التى يجب أن يتحلى بها المسلم الرفق بالحيوان والطير وكـل شيء فيه روح وقد مر أنس بن مالك رضى الله عنه على قوم نصبوا أمامهـم دجاجـة وجعلـوها هدفا لهم وأخذوا يرمونها بالحجارة فقال أنس نهى رسول الله ﷺ (أن تصير البهائم أى أن تحبس وتقيد وترمى وتعذب حتى الموت) الإمام مسلم.

ومر ابن عمر رضى الله عنه على فتيان من قريش وقد وضعوا أمامهم طيرا وأخذوا يرمونـه بالنبال فلما رأوا ابن عمـر تفرقـوا فقال لهم من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئا فيه روح هدفا يرميه وقد نهى الإسلام عن تعذيب أى شيء فيه روح ومن الرفق بالحيوان الإحسان إليه عند ذبحه حتى لا يعذب قال رسـول الله ﷺ (إن الله تبارك وتعالى كتب الإحسان على كـل شـيء فإذا قتلتـم فأحسنـوا القتلـة (أى فى الحروب) وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته أى السكين التى يذبح بهـا

وليرح ذبيحته) أى يعاملها برفق وتلطف هذا هو حال الإسلام مع الحيوان فما بال الذين يروعون الآمنين ويقتلون الناس ظلمًا وبغيا بغير الحق بعشوائية وهمجية ويسمونها عمليات إستشهادية وهى ايست من الإسلام فى شيء وهو منها براء لقد نهى الإسلام عن تعذيب كل ما فيه روح وحرص كل الحرص على حياة الإنسان أكرم المخلوقات على الله جل وعلا الذى سخر له كل شيء ليتفرغ لعبادة خالقه سبحانه لما جاء فى الخبر قول الحق جل وعلا فى الحديث القدسي (عبدي خلقت كل شيء لأجلك وخلقتك من أجلى فلا تنشغل بما خلق لأجلك عما خلقت أنت لأجله) وهو عبادة الخالق سبحانه والسعي فى الأرض وقد أخبر الحق تبارك وتعالى أن سعى الإنسان محسوب عليه بدقة متناهية وأنه سوف يراه يوم العرض والجزاء دون زيادة أو نقصان وأنه مجزى به إن كان خيرا فخيرا وإن كان خيرا فخيرا فقال جل جلاله في محكم التنزيل ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الأوفى ﴾ ٣٩:٤١ النجم .

وفيه بيان أن الجزاء من جنس العمل وأن الثمر من نوع الشجر وأنه يجزى جزاء وافيا دون نقصان ولقد قرر التنزيل ما يفيد هذا المعنى أن العبد يوم القيامة يرى ما قدمت يداه فقال جل شأنه ﴿ يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ﴾ ٤٠ :النبأ .

وعندما يرى ما قدمت يداه من صالح وسيء الأعمال ويرى دقة الحساب والقصاص للحيوانات من بعضها لبعض وبعد أن يقتص الله جل وعلا للضعفاء من الأقوياء منها يقول لها كوني ترابا وعندها من هول الحساب يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا مثلها حتى لا أناقش الحساب ولا أخلد فى العذاب .

﴿ يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ﴾ ٤٠ : النبأ .

إذن الغاية من إيجاد الخلق هى عبادة وسعى وإعمار وليس التفجيرات والخراب والدمار ولا أدرى كيف تهون على العبد نعمة الوجود فتهون عليه روحه ونفسه فإن الوجود نعمة أنعم بها الواحد المعبود سبحانه على الإنسان فى هذه الحياة ليبتليه بحسن العمل أو بسيئه فيما قرر التنزيل أن مدة الأجل فى هذة الحياة هى للإمتحان والإختبار دل على ذلك قول الحق جل شأنه ﴿ تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ،الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ﴾ ١:٢ تبارك.

وهنا نتبين فى هاتين الآيتين الكريمتين حكمة أخرى من الخلق فالحكمة الأولى من الخلق هى عبادة الخالق جل شأنه فى قوله سبحانه ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ٥٦: الذاريات .

والحكمة الثانية من الخلق هى الإبتلاء والإمتحان أيهم أحسن عملا فإذا ما قتل الإنسان نفسه بهذه الطريقة البشعة يفجر نفسه ويقتل الأبرياء فماذا يقول لرب الأرض والسماء يوم اللقاء وهو ملاقيه لا محالة يوم الجمع يوم توفى الحقوق إلى أهلها وترد المظالم إلى أصحابها ﴿ يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه ﴾ ٦: الإنشقاق .

فيا ليت شباب الأمة الذين يغرر بهم وتهون عليهم نعمة الوجود ويموتون كفارا حاملين ذنوب قتل أنفسهم وذنوب قتل الناس ظلما وبغير الحق وهو حرام واعتداء على حرمات الله جل شأنه وحدوده التى بينها شرعه القويم وأرشد إليها رسوله الكريم بقوله ﷺ (من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ومن تردى من فوق جبل فقتل نفسه فهو يتردى فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا) متفق عليه .

وقد نهى الحق تبارك وتعالى عن قتل الإنسان نفسه فقال جل شأنه ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ﴾ ٢٩ : النساء .

وهنا مداد الرحمة فلا عدوان على النفس ولا أنفس الآخرين فلا يأس من رحمة الله ﴿ إن الله كان بكم رحيما ﴾ ٢٩ : النساء .

العدل قوام الوجود

العدل إسم من أسماء الله جل شأنه سمى به نفسه وأمر به خلقه فقال سبحانه ﴿ اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ ٨: المائدة .

أما العدل فى ميزان البشر لغة الإنصاف وشرعا وضع الأمور فى نصابها والعدل هو لـزوم الحق فى كل أمر من أمور الحياة وعدم الميل عنه قيد شعرة والبعد عن الظـلم أو الميـل عن جادة الإنصاف بغية تحقيق منفعة دنيوية مادية أو معنوية ولذا نهى الحق جل وعلا عن الميل عن العدل بسبب نفوذ ذوى السلطة أو العداوة بين الخصوم فقال جـل شأنـــه ﴿ ولا يجرمنكم شنئآن قوم على ألاّ تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾٨:المائدة.

ومن جميل صنع العدل أنه يشيع الحب بين الناس وبين الحكام والمحكومين فيعم السلام وينعم الأنام قال الحق سبحانه ﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾٥٨: سورة النساء .

أى بالحق والحق لغة: نصرة المظلومين .

وشرعا: إعادة ما سلب إلى أهله .

وهو إسم من أسمـاء الله الحسنـى أيضا سمى نفسه سبحانه وأمر به خلقـه فقال جل شأنـه ﴿ وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ ٣: العصر.

وهو فى ميزان تعامل البشر جزئية عن العدل بمعنى إن لم يكن هناك عدل سابق فلا حـق راجع لأصحابه والعدل واجب إذا نصب القضاء حتى ولو كان أحد الخصوم شقـيق القاضي الذى ينظر الدعوة لقول الحق سبحانه﴿ وإذا حكمتم بين النـاس أن تحكمـــوا بالعـــدل ﴾ ٥٨ :النساء .

ولا ينصب القضاء إلا إذا ضاعت الأمانات أما إذا رجعت الأمانات إلى أهلها فلا قضاء دل على ذلك قول الحق جل شأنه ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ ٥٨ : النساء .

والمعنى أى لا ينصب القضاء إلا إذا ضاعت الأمانات وإذا نصب القضاء وجب العدل والعدل واجب فى كل شيء بين الخصوم وبين الأبناء وبين الزوجات وفى الكيل والميزان وبين الناس جميعا وإليك من أمثلة العدل :-

جاء رجل من أهل مصر إلى إمام العادلين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال يا أمير المؤمنين لقد تسابقت مع بن عمرو بن العاص والى مصر فسبقته فضربني بسوطه وقال لى أنا ابن الأكرمين فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص إذا أتاك كتابي هذا فلتحضر إلى ومعك ابنك فلما حضر أعطى عمر بن الخطاب السوط للرجل المصري ليضرب ابن عمرو بن العاص قائلا له اضرب ابن الأكرمين وذات يوم اختلف الإمام على كرم الله وجهه ورضي عنه مع يهودى فى درع يلبس كالرداء على الصدر فى الحروب فذهبا إلى القاضي فقال الإمام على رحمه الله تعالى إن هذا اليهودي أخذ درعي فأنكر اليهودى

فقال القاضي للإمام على هل معك شهود؟ فقال الإمام على نعم وكان معه ولده الحسين فشهد الحسين بأن هذا الدرع هو درع أبيه فقال القاضى للإمام على هل معك من شاهد آخر؟ فقال الإمام على لا فحكم القاضى بالدرع لليهودى لأن الإمام عليا كرم الله تعالى وجهه لم يكن معه من الشهود غير ولده الحسين عليه السلام سيد الشهداء مظلوم كربلاء فقال اليهودى عجبا أمير المؤمنين جاء معي يحتكم إلى قاضى المسلمين فحكم القاضى بالدرع لى ورضي أمير المؤمنين والله فالدرع درعك سقطت من على جمل لك

فالتقطها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ فأعطاه الأمير الدرع فرحا بإسلامه .

وجاء رجلان من الأنصار يختصمان إلى رسول الله ﷺ ويطلبان إليه أن يحكم بينهما فأخبرهما النبى ﷺ أن من يأخذ حق أخيه فإنما يأخذ قطعة من النار فبكى الرجلان وتنازل كل منهما عن حقه للآخر وصدق الحق سبحانه إذ يقول ﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ ٥٨ : النساء .

وفى الوزن قال الله جل شأنه ﴿ وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ﴾ ٩ : الرحمن والقسط هو العدل وجاء فى حديث رسول الله ﷺ (المقسطون على منابر من نور يوم القيامة) الإمام مسلم.

وفى الكيل والميزان قال الله عز ثناؤه ﴿ ويل للمطففين، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون، ليوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ ١ : ٦ المطففين .

وفى العدل بين الزوجات قال رسول الله ﷺ (من كان له امرأتان فمال لأحداهما عن الأخرى جاء يوم القيامة وشقه مائل) أخرجه أبو داوود والترمذى .

فيجب العدل فى كل شيء فى المأكل والملبس والمشرب والسكن والمبيت والنفقة.

وكان رسول الله ﷺ يقسم بين زوجاته بالعدل ويقول (اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك) الترمذي والنسائي .

وفى بيان العدل بين الأبناء قال رسول الله ﷺ (اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم) أخرجه الإمام البخارى.

قال النعمان ابن بشير أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحة أم النعمان لا أرضى حتى تشهد عليها رسول الله ﷺ فأتى بشير النبى ﷺ فقال يا رسول الله إنى أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فطلبت إلى أن أشهدك يا رسول الله فقال له الرسول ﷺ (أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ قال لا قال أشهد عليه غيري فإني لا أشهد على جور والجور هو الميل والإنحراف عن العدل وهذه العطية من بشير لولده النعمان هى مناسبة هذا الحديث قوله ﷺ (اتقوا الله وأعدلوا فى أولادكم)الإمام البخارى.

فوجب المسلم أن يعدل بين أولاده ويسوى بينهم حتى فى القبلة فلا يفضل بعضهم على بعض بعطية أو هدية حتى لا يكره بعضهم بعضا وحتى لا توقد نار العداوة بينهم وهل كره إخوة يوسف أخاهم إلا بتفضيل أباهم يعقوب عليه السلام يوسف عليهم فأوقد نار الحقد والعداوة بينهم التى إنتهت بإلقاء يوسف فى غيابة الجب وقد كتب أحد الولاة إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يطلب منه مالا كثيرا ليبنى سورا كبيرا حول عاصمة الولاية فقال عمر له وماذا تنفع الأسوار؟حصنها بالعدل ونقى طرقها من الظلم . ولذا قيل العدل أساس الملك وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول عمل الإمام العادل فى رعيته يوما أفضل من عبادة العابد فى أهله مائة عام .

والعدل يوفر الأمان للإنسان مقترن بالهداية لقول الحق جل شأنه ﴿ ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ ٨٢: الأنعام .

ومن ثمرات العدل أنه يوفر الأمان للضعيف والفقير ويشعرهما بالعزة والفخر والتوقير ومن جميل صنيع العدل أنه يمنع الظالم عن ظلمه والطامع عن جشعه ويسوى بين الغنى والفقير والعظيم والحقير فالخلق سواء بمقتضى العدل ﴿ إن الله يحب المقسطين ﴾ . ٩: الحجرات .

ولقد جاء أحد رسل الملوك لمقابلة إمام العادلين الفاروق عمر ابن الخطاب فوجده نائما تحت شجرة فتعجب كيف ينام حاكم المسلمين بدون حرس؟ فقال كلمته المشهورة (حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر)...

وقد نهى رسول الله ﷺ عن الظلم وهو ضد العدل وحث ﷺ على أداء الحقوق لأصحابها قبل أن يأتي يوم القيامة فيحاسبهم الله جل جلاله على ظلمهم فقال ﷺ (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد أي يقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء) الإمام مسلم . يتبين من الحديث الشريف أن كل مخلوق سيأخذ حقه يوم القيامة حتى الشاة التي ليس لها قرون من الشاة التي لها قرون لماذا نطحتها بغيا وعدوانا هذا حال العدل الإلهي مع الحيوانات فكيف بأصحاب المتفجرات الذين يقتلون الناس ظلما بغير الحق وكيف تهون عليهم أنفسهم (نعمة الوجود) التي وهبها إياهم الواحد المعبود جل جلاله ويسمونها عمليات إستشهادية وهي عمليات إنتحارية ليست من الإسلام في شيء وهو منها براء أيسون من رحمة الله جل شأنه ساخطون على حكمه وقضائه لم يمعنوا النظر في فقه قوله تعالى ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون﴾ ٣٢: الزخرف وجاء في الحديث القدسي فيما يرويه رسول الله ﷺ عن رب العزة سبحانه (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا) الإمام مسلم . والحقيقة التي لا مناص منها أنه لا منفعة وراء الظلم ولا فائدة ترجى من الظالمين بل هو طريق الخاسرين وقد حذر الرسول ﷺ من الظلم بقوله (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) متفق عليه

ولقد أمر الحق جل وعلا بالعدل فى مواضع كثيرة فى كتابه العزيز منها قوله سبحانه ﴿ وأمرت لأعدل بينكم ﴾ ١٥ : الشورى.

وقوله جل شأنه ﴿ فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين ﴾ ٤٢ : المائدة . والقسط هو العدل وفى الحديث النبوي الشريف (المقسطون على منابر من نور يوم القيامة) أى العادلون فى كل شيء فى الحكم وفى الفصل وفى الخصومات وفى القسمة بين الزوجات وبين الأبناء حتى التسوية والمساواة فى القبلات وفى الكيل والميزان يوفون الكيل ولا يخسرون الميزان يخافون الويل يوم لا ينفع وزن الدنيا ولا كيل ﴿ ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون،وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون، ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾١ : ٦ المطففين .

يوم توفى الحقوق (ووفيت كل نفس ما كسبت﴿ وهم لا يظلمون ﴾ يخافون النداء يوم اللقاء يوم العرض على خالق الأرض والسماء يوم القيامة يوم ينادى المليك جل جلاله أيها المظلومين تقدموا أيها الظالمون لا تتكلموا سبحان الله إنه نداء العظمة والقدرة والكبرياء من القاضى الكبير الله لا إله إلا هو مالك الملك والملكوت الحى الذى لا يموت وهو النداء الذى كان سببا لزهد الإمام الزاهد الحسن البصري حينما سئل عن سبب زهده فقال (علمت أن القبر موحشا وليس معي مؤنسا، وعلمت أن السفر طويل وليس معى زاد، وعلمت أن القاضى هو الله وليس معى حجة) .

ومما يسعد به المؤمن أن العدل مقدم على الإحسان فى الأوامر الإلهية بل هو أولى دعامات الإحسان فى قول الحق جل وعلا ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ ٩٠: النحل .

والبغى هو تجاوز الحدود والطغيان بغير الحق ولذا جاء فى الإقتتال قول الحق جل شأنه ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء لأمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ ٩: الحجرات .

ولقد أوجب الله تبارك وتعالى العدل على المسلمين مع من يحبون ومع من يكرهون فقال جل شأنه ﴿ ولا يجرمنكم شنئان قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ ٨: المائدة .

ولما كان العدل هو أقرب شيء للتقوى وهو أساس كل خير وأصل كل إحسان وأمن كل خائف ويؤيد وجوب العدل ما ورد فى تحريم ضده وهو الظلم والجور وهو الميل عن الحق شدة الوعيد لمن يحيد عن العدل ويفسد فى الأرض وينقض العهد باللعنة وسوء الإقامة فى الدار الآخرة فقال جل شأنه ﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ ٢٥: الرعد . وأعلا مراتب الفساد فى الأرض قتل المعصومين وترويع الآمنين والإعتداء على المعاهدين ظلما ﴿ والله عليم بالظالمين ﴾ ٩٥: البقرة .

والظلم يستوجب لعنة الله عز شأنه على الظالمين فى قوله سبحانه ﴿ ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ ١٨: هود

ومن شواهد العدل فى السنة المطهرة قول رسول الله ﷺ (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عز وجل عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة) الإمام البخارى فى كتاب المظالم.

وفى لفظ والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه وقال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل (اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب) . أخرجه البخارى فى كتاب التفسير .

وقال الحق جل وعلا ﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون،إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار،مهطعين مقنعى رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ﴾٤٢:٤٣ إبراهيم .

وقال رسول الله ﷺ (المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن عز شأنه يوم القيامة) الإمام مسلم فى كتاب الأمارة باب فضيلة الإمام العادل .

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لبعض ولاته (عليكم بالعدل وتباعدوا عن الجور ولا تغدروا إذا عاهدتم ولا تنقضوا إذا صالحتم) .

وقال بعض الحكماء: ليس شيء أقرب إلى تغيير النعمة وتعجيل النقمة من الظلم. ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾ ٢٢٧ : الشعراء .

وقال بعض الفضلاء (إن العدل ميزان الله فى الأرض الذى وضعه للخلق ونصبه للحق فلا تخالفوه فى ميزانه ولا تعارضوه فى سلطانه) جل شأنه الله لا إله إلا هو .

وقال بعض الحكماء: العدل يوجب إجتماع القلوب والجور يوجب الفرقة وهو من أبشع الذنوب) .

وحسبك قول الحق جل وعلا لرسوله ﷺ ﴿ وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ﴾ ١٥: الشورى .

وقال بعض الحكماء : الظالم مهلك ثم هالك مثل النار إذا وقعت فى يابس الشجر لا تبقى ولا تذر حتى إذا أفنت فأوجدت انطفأت وخمدت .

وهو تشبيه بليغ فإن الظالم بظلمه يهلك من ظلمه قد يكون فى حكم لخصومه وقد يكون الظلم فى معاملة وقد يكون الظلم فى شهادة زور وفى كل ضياع وهلاك للمظلوم ثم بعد ذلك إلى أين مصير الظالم وقد أخبر الحق جل جلاله أنه ليس بغافل عن أعمال الظالمين أيا كانت فقال سبحانه ﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ﴾٤٢: إبراهيم .

وقال رسول الله ﷺ سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله أولهم إمام عادل (أى حاكم عادل في حكمه بين محكوميه ورعيته) وقال رسول الله ﷺ (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا).

وقال ﷺ (المؤمن ألف ومألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف).

فبالألفة والأخوة تتوطد العلاقات بين أفراد المجتمع وتقوى الروابط بين الجماعات ويعمل الجميع متحدين على قلب رجل واحد فتقوى شوكة الأمة وتسمع كلمتها وتعود لها هيبتها وقد حذر رسول الله ﷺ من البغضة والحسد فقال (لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث) الإمام البخارى .

وقال ﷺ (دب إليكم داء الأمم الحسد والبغضاء) الترمذي .

وقال نبي الرحمة ﷺ (كل معروف صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق) ليس متفجرات وأحزمة ناسفة .

وقال رسول الله ﷺ (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم) .الإمام مسلم .

حق الإنسان على الإنسان

١- عن كتاب الحقوق في الإسلام لـ محمد محمود عبد الله المؤلف .

تمهيد للبحث

لا شك في أن الإسلام دين الرحمة الشاملة والآداب و السماحة السامية ، ولهذا فهو يولي مسألة الحقوق اهمية بالغة ، لأنها من الأمانات التي أمر الله سبحانه أن تؤدى إلى أهلها وهذا يعني أن الإنسان يتحمل المسئولية في كل عمل يؤديه ، سواء كان هذا العمل يتعلق بحق الله عز وجل أو بحقوق الناس أو بحق الطبيعة وما فيها من جماد ونبات وحيوان .

فالأمانات تشمل أداء حقوق الله وحقوق الناس والكائنات الأخرى التي تشارك الانسان الحياة على هذه الأرض التي خلق الله تعالى منها الانسان و فيها حياته ومستقر نومه ومستودع مماته وصدق الحق سبحانه إذ يقول ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾[1] واليك لمحة موجزة عن الحقوق وسيأتي بيان كل حق بذاته ضمن هذا البحث الحقوق الاسلامية .

أما حقوق الله تعالى فهي أن نؤمن به ربا واحدا ، وأن نعبده وحده ، وأن نعمل في كل حياتنا وفق كتابه الكريم وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم . ومن الجدير بالذكر القول بأن أداء حقوق الناس والكائنات الأخرى هو في حقيقته أداء لحقوق الله .

أما فيما يتعلق بحقوق الطبيعة وما فيها من نبات وحيوان فإن من حق البيئة الطبيعية بما فيها من أنهار وبحار وأودية وجبال وزروع ناضرة وحدائق ذات بهجة ، وحيوانات تجمع بين النفع والجمال أن نحافظ عليها وألا نعرضها للتخريب والفساد، فإهلاك الحرث والنسل من أقبح صور الفساد التي يبغضها الله تعالى و الرسول – صلى الله عليه وسلم – يدعو كل إنسان لأن يبذل ما يستطيع من جهد لكي يجعل

---

(١) سورة طه آية رقم (٥٥)

الأرض خضراء وجميلة حتى في اشد الأوقات حرجاً (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها) [روه البخارى] .

بل إن إتاحة الزروع والثمار للناس والحيوان والطير أمر يثاب عليه الإنسان (لا يغرس مسلم غرسا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طير إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة) [متفق عليه] .

والقرآن الكريم ملئ بالآيات التي توقظ في وجدان المسلم الإحساس بالجمال الموجود في الطبيعة ، والتي تدعوه إلى اعتبار هذا الجمال من أعظم نعم الله على الإنسان.

ومن هنا فإن علينا أن نحافظ على البيئة الطبيعية بما فيها من زروع وأشجار وثمار جميلة وألا نخربها أو نفسدها ، وألا نترك الأرض دون زرع .

أما حقوق الحيوان في الإسلام فهي :-

١- أن نطعمه ونسقيه ، فقد (دخلت امرأة النار في هرة حبستها حتى ماتت ، فلا هي أطعمتها وسقتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض) [رواه البخارى] وبينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا فنزل فيها فشرب منها ، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ منى فنزل البئر فملأ خفه ماء ، ثم أمسكه بفيه حتى رقى الكلب فشكر الله له فغفر له ، قالوا : وإن لنا في البهائم أجرا يا رسول الله ؟ فقال: في كل كبد رطبة أجر) [متفق عليه] .

٢- ألا نؤذيه أو نعذبه فقد روى عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه:(كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في سفر ، فرأينا حمرة (طائر مثل العصفور) معها فرخان فأخذناهما ، فجاءت الحمرة تعرش (ترفرف) ، فلما جاء صلى الله

عليه وسلم قال : من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها إليها) [رواه أبو داود]
. وقد " مر عبد الله ابن عمر بفتيان من قريش وقد نصبوا طيرا واتخذوه غرضاً (أي هدفاً يتعلمون عليه الرمي بالسهام) فقال إن النبي – صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضاً " [رواه الشيخان وأبو داود] .

٣- ألا نتخذ من تعذيبه ملهاة نلهو بها ، فقد " نهى النبي – صلى الله عليه وسلم – عن التحريش أي إغراء الحيوانات بعضها ببعض لتتقاتل) بين البهائم " [رواه أبو داود والترمذى] .

٤- أن نعتني به ، فنعالجه إذا مرض ، ولا نحمله ما لا يطيق ، ولا نعذب الذبيحة ، ولا نذبح حيوانا أمام حيوان آخر ، فلنا (في كل كبد رطبة أجر) كما قال نبينا – صلى الله عليه وسلم .

هذه هي أهم حقوق الطبيعة والحيوان في الإسلام ، كما دل على ذلك القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وكلها تنطوي على خلق الرحمة ، و الرحمة لا تنزع إلا من شقي .

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا عند الحديث عن الحقوق الإنسانية أن الحديث عن الحقوق يعنى – في الوقت نفسه – الحديث عن الواجبات أيضا ، لأن ما هو حق لإنسان هو واجب على إنسان آخر ، أي أن ما هو حق من ناحية هو واجب من ناحية أخرى.

وصدق الحق سبحانه إذ يقول ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتوصوا بالحق وتوصوا بالصبر ﴾ خادم القران وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

منهج الإصلاح في الوجود

١- الإنسان وخلافته في الأرض

لقد تجلت إرادة الله تعالى ومشيئته أن يكون الإنسان خليفته في الأرض ،﴿و اذ قال ربك للملائكة اني عاجل في الأرض خليفة ﴾ [١]وهذه المشيئة العليا تأبى أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود زمام هذه الأرض وتطلق فيها يده وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين والتحايل والترتيب والتحوير والتبديل وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامات ولكن الحكمة الالهية اقتضت أن كل شيء في الخلق بقدر ﴿أن كل شيء خلقنه بقدر ﴾[٢]

إن مهمة هذا الخليفة إقامة منهج الله عز وجل وفق مراد الله وإلا لفسدت الأرض ، لذلك كان التنبيه لنبي الله داود ﴿ يا داود إنا جعلنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى﴾[٣] وإن كان الأقوام السابقون قد استخلفوا في الأرض فأفسدوا فيها ، ولم يصلحوا ، لذا وجه الله الخطاب للمستخلفين من بعدهم: ﴿ ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون ﴾ [٤] فالله يحذر الأمم التي يخلف بعضها بعضا أن لا يفعلوا مثل ما فعل السابقون فيصيبهم مثل ما أصابهم ، ومن ثم حذر صالح قومه فقال :

﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ [٥] إذ رأى أن الحضارة ستفتنهم وتنسيهم مهمة الاستخلاف في الأرض، إذ هم قد

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٣٠)

(٢) سورة العمر آية رقم (٤٩)

(٣) سورة ص آية رقم (٢٦)

(٤) سورة يونس آية رقم (١٤)

(٥) سورة الأعراف آية رقم (١٤)

انشغلوا ببناء القصور وعمارة البيوت وشق الأنفاق في الجبال وزرع الحدائق والجنان ، وهذا ما يجب أن نهمس به في أذن أصحاب كل حضارة .

وضرب الله المثل في القرآن لأصحاب الحضارة الذين لم يركنوا إلى شرعه وحسبوا أن الحضارة تعنى التقدم المادي فحسب أو أنها تعنى الجور على الآخرين أو أنها تعنى فصل الدين عن الدنيا أو فصل الدنيا عن الآخرة بل هما صنوان لا يغيب أحدهما عن الآخر ... في هذا يقول تعالى : ﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور﴾[1] وأي وصف هذا لحضارة يُعبر عنها بأنها آية .. لعل الله عز وجل أراد بهذه اللفظة أن يجول السامع بفكره فى عظمة هذه الحضارة وفرادتها ، بل إن الله قد أتم عليهم النعمة ، فهى (بلدة طيبة) طاهرة من المؤذيات لا حية فيها ولا عقرب ولا وباء ولا وخم ولكن حينما أعرضوا بحضارتهم عن أسباب الاستقامة ، وحسبوا أن الحضارة مادة جامدة لا حياة فيها كان جزاؤهم ﴿ فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل[2]﴾ فالإعراض عن الإيمان ومظاهره جلب لهم زوال هذه الحضارة .. وبأى شيء .. بمظهر من مظاهر هذه الحضارة .. تدمير السد الذى يقيهم الجفاف والفيضان ويحفظ لهم الزرع من البوار والنسل من الإغراق والبيوت من الدمار .. وتبدلت الجنان والبساتين بأشجار شوكية مُرة لا خير فيها .. ذلك فرق بين من عمر الأرض بأسباب الحضارة حسب منهج سوى وبين من أقامها مدمراً لها مستعبداً أهلها ، مهلكاً حرثها ونسلها ثم يدعى أن ذلك " استعمار " .

وأخذ الخليفة الأموى معاوية رضى الله عنه فى إحياء الأرض فى آخر عمره فقيل له ما حملك عليه ؟ فقال : ما حملنى عليه إلا قول القائل :

---

(١) سورة سبأ آية رقم (١٥)

(٢) سورة سبأ آية رقم (١٦)

ليس الفتي بفتي لا يستضاء به ولا يكون له في الأرض آثار

تكريم الإنسان

إن الإنسان هو أغلى مورد موجود فى هذا البيئى الأرضى ، وقد عنى به الإسلام أيما عناية وفى الآية ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾[1] ولهذا التكريم مظاهر منها :

– تمهيد الأرض للإنسان ﴿ هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ [2]

– خلقه فى صورة مغايرة للحيوانات ﴿لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾[3]

– اسباغ النعم عليه ﴿ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ [4].

– إنشاء المجتمعات والقبائل﴿ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾[5].

– إرسال الرسل إليه ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاؤهم بالبينات﴾[6]

– تنـزيل الشرائع السماوية ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير[7]﴾

– تسخير ما فى كون الله ﴿ وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه﴾[8]

---

(١) سورة الأسراء آية رقم (٧٠)

(٢) سورة الملك آية رقم (١٥)

(٣) سورة التين آية رقم (٤)

(٤) سورة لقمان آية رقم (٢٠)

(٥) سورة الحجرات آية رقم (١٣)

(٦) سورة يونس آية رقم (٧٤)

(٧) سورة فصلت آية رقم (٢)

(٨) سورة الجاثية آية رقم (١٣)

وهذا التكريم وتلك النعمة يلزمها تشريعاً محكماً ليحفظها ويحفظ ذلك الإنسان وهذا التشريع يتمثل فيما يلى :

تحريــم القتل

لقد حرم الله القتل بكافة صوره إلا ما كان تشريعاً كالقصاص ﴿ كتب عليكم القصاص في القتلى﴾[1] أو لقتال فئة باغية ﴿ فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾[2] أو الجهاد في سبيل الله ﴿ وقاتلــوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ﴾[3] أو للدفاع ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا [2]﴾ أما غير ذلك فقد عظم الله حرمته ﴿ من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً [4]﴾ وحرم الله قتل الولد﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم ﴾[5] وجعل الله جزاء القتل عذاب في الدنيا والآخرة ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً ﴾[6] وبالنظر إلى معدلات القتل والجريمة في العالم الآن نجد أن الحربين العالميتين قد حصدتا ما يزيد عن ٦ مليون نفس.

وفي الدول المتقدمة تتزايد معدلات القتل بسبب الجريمة المنظمة و العصابات المسلحة والحروب القبلية والتكالب على السلطة بل قد يكون القتل بغير سلاح عن طريق المخدرات ،أو بطريقة غير مباشرة كتلوث البيئة والأمثلة على ذلك كثيرة ففي بلجيكا في ديسمبر ١٩٣٠ غطى الضباب الكثيف المناطق المجاورة لمصانع الصلب

---

(١) سورة البقرة آية رقم (١٧٨)
(٢) سورة الحجرات آية رقم (٩)
(٣) سورة البقرة آية رقم (١٩)
(٢) سورة الحج آية رقم (٣٩)
(٤) سورة المائدة آية رقم (٢٢)
(٥) سورة الانعام آية رقم (١٤٠)
(٦) سورة النساء آية رقم (٩٣)

ومحطات توليد الغاز فقتل ٦٣ شخص بضيق التنفس وفي ولاية بنسلفانيا بأمريكا في أكتوبر ١٩٤٨ أصيب السكان بالاختناق والغثيان وضيق التنفس بسبب تلوث الهواء وفي لندن في ديسمبر ١٩٥٢ انخفض مدى الرؤيا إلى عشرات الأقدام وارتفعت نسبة الرطوبة إلى ١٠٠٪ وانخفضت درجة الحرارة إلى ١٥ تحت الصفر وسكن الهواء سكون الموت فتوقفت حركة السيارات ومنع تحليق الطائرات وتوفى ٤ آلاف شخص ثم ثمانية آلاف آخرين بعد ذلك بشهرين بسبب تلوث الهواء وفي وادي الرون بألمانيا الغربية عام ١٩٦٧ بلغ الهباب الأسود المصاحب للغازات المتصاعدة من الصناعات المختلفة درجة عالية من السوء أتلفت كثير من المباني القريبة من تلك الصناعات

ب – مبدأ لا ضرر ولا ضرار

إذا كان من مظاهر تكريم الإنسان تحريم قتله لنفسه أو قتل غيره ووضع آداب له في الغزو والجهاد ، فإن الإسلام قد وضع له قاعدة علامة يسير على نهجها ألا وهي (لا ضرر ولا ضرار) إن على المسلم أن لا يضر نفسه ولا يسمح له بإضرار غيره: ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ﴾[1] ، والنهى في الآية لأن يقتل بعضهم ما يضر بالنفس أو الحرث أو النسل أو الحيوان وفي الحديث عن عبد الله بن عمر أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (من قتل عصفورا بغير حقه سأله الله عنه يوم القيامة ، وما حقه ؟ قال: أن تذبحه فتأكله) وأخرج النسائي في سننه عن سعيد بن جبير قال: خرجت مع ابن عمر في طريق من طرق المدينة فإذا بغلمة يرمون دجاجة ، فقال ابن عمر : من فعل هذا به ؟ فتفرقوا فقال : إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لعن من مثل الحيوان فإذا كان هذا في النهى عن الضرر بالحيوان فتحريم الضرر بالإنسان أولى من ذلك .

---

(١) سورة النساء آية رقم (٢٩)

ج – تحريم تجارة الرقيق

ومن ثم كان تحريم تجارة الرقيق في الإسلام . وجعل الله عز وجل من أنواع الكفارات تحرير الرقاب ليزول الرق بالتدريج فكفارة القتل الخطأ تحرير رقبة ﴿ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا ﴾[1] ، وكفارة الأيمان تحرير رقبة ﴿ لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة ﴾[2]وكفارة الظهار تحرير رقبة ﴿ فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا﴾[3] .

وقد بدأت تجارة الرقيق في العصر الحديث عندما جلب الأمير هنري الملاح البرتغالي(١٣٩٤ –١٤٦٠) بعض العبيد من أفريقيا الى أوروبا ، ثم شجع تلك التجارة الملك الأسباني فردينان (١٤٦٩– ١٥١٦م)واشتركت كل الدول الاستعمارية في تلك التجارة حتى بلغ عدد السفن البريطانية وحدها والتي تنقل العبيد ١٩٢ سفينة سعة كل سفينة ٥٠٠٠٠ عبدا ، حتى أنه خلال القرن الثامن عشر كانت كلمة التجارة الأفريقية **The African Trade** لها معنى واحد شامل ومتميز هو الاتجار في البشر .

٣– النهي عن الفساد

الفساد خروج الشيء عن كونه منتفعا به ونقيضه الصلاح ، وقد نهى الله عز وجل عن الفساد في الأرض لذلك جعل الله عز وجل من فضله على الناس دفع البلاء عنهم حتى لا تفسد معيشتهم ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض

---

(١) سورة النساء آية رقم (٩٢)

(٢) سورة المائدة آية رقم (٨٩)

(٣) سورة المجادلة آية رقم (٣)

ولكن الله ذو فضل على العالمين[1]﴾ والمدفوع عنه في الآية غير مذكور ويتحمل أن يكون الشرور في الدين أو الشرور في الدنيا أو في مجموعها ولقد لعن الله عز وجل الأخنس بن شريك الثقفي لسعيه في الأرض فسادا ﴿ وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ﴾[2]إذ ذكر أن سبب نزول هذه الآية أن الأخنس مر بزرع المسلمين فأحرق الزرع وقتل الحمر ، وذلك الفساد فساد عظيم لا أعظم منه ،كما جاء النهى للمنافقين بخاصة عن الإفساد في الأرض لأنهم يظهرون الصلاح ويبطنون غير ذلك ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾[3] يقول أحد العارفين في تفسير ذلك : الفساد في الأرض هو أن تعمد إلى الصالح فتفسده ، وأقل ما يطلب منك في الدنيا أن تدع الصالح لصلاحه ولا تتدخل فيه لتفسده ، فإذا شئت أن ترتقي إيمانيا تأتي للصالح وتزيد من صلاحه، فإن جئت للصالح وأفسدته فقد أفسدت فاسدين ، لأن الله سبحانه وتعالى أصلح لك مقومات حياتك في الكون فلم تتركها على الصلاح الذي خلقت به ، وكان تركها في حد ذاته بعدا عن الفساد بل جئت إليها وهي صالحة بخلق الله لها فأفسدتها ، فإنها لم تستقبل النعمة الممنوحة لك من الله بأن تتركها تؤدى مهمتها في الحياة ، ولم تزد في مهمتها صلاحا ولكنك جئت إلى هذه المهمة فأفسدتها فلو أن هناك شجرة يستظل بها الناس ويأكلون من ثمرها ، فهذه نعمة لضرورة حياتهم ، يستطيع الإنسان أن يأتي إليها ويصلحها ويحافظ عليها ، ولكنه إذا أتاها ليقطعها فقد أفسد الصالح في الأرض ، وإذا سد بها طريق الناس بعد قطعها فقد زاد فساداً على فساد .

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٥١)

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٠٥)

(٣) سورة البقرة آية رقم (١١-١٢)

ولما كان الفساد في الأرض بالكفر او المعصية أو تضييق سبل العيـــــــش على الناس أو إفساد مصالحهم ، فقد جاء التحذير من الإفساد في الأرض على ألسنة الأنبياء في قومهم ، فذلك موسى يحذر قومه ﴿ ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ [1]، وينبه صالح قومه : ﴿ ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾ [2]ويهدد شعيب قومه بقوله : ﴿ وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ [3] يوجد من يعلم سر ما يصلح صنعته أكثر من صانعها ، ونحن في المنهج الدنيوي إذا أردنا إصلاح شيء اتجهنا لصانعه فهو الذي يستطيع أن يدلنا على الإصلاح الحقيقي لهذا الشيء ، وبدون هذا لا نصلح بل نفسد ، فوجب علينا الاتجاه إلى صانع هذا الكون لنأخذ منه منهج الإصلاح فهو أدرى بصنعته .

ولقد ضرب الله المثل في القرآن ليبين عاقبة المفسدين .. فمنهم قارون الذي خسف الله به وبداره الأرض بعد أن أعرض عن نصح الناصحين : ﴿ ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾[4] ، وفرعون الذي أفسد في الأرض بالكفر والسحر والأعراض عن سبيل الله ، يريد أن يرجع عن غيه حين الغرق ، ولكن يأتيه النداء : ﴿ الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾[5] ، أما يأجوج و مأجوج فقد كانوا يخرجون أيام الربيع إلى الأرض فلا يدعون شينا أخضرا إلا أكلوه ، ولا يابساً إلا حملوا إلي أرضهم لذلك استعان القوم بذي القرنين ليساعدهم للقضاء عليهم

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٦٠)

(٢) سورة الشعراء آية رقم (١٥١ ، ١٥٢)

(٣) سورة الأعراف آية رقم (٨٦)

(٤) سورة القصص آية رقم (٧٧)

(٥) سورة يونس آية رقم (٩١)

﴿قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدين فى الأرض﴾[1] فأقام ذو القرنين سداً بين القوم وبين هؤلاء المفسدين .

واليك بيان حقوق الإنسان على الإنسان

١- حـــق الحيـــــاة

إن حق الحياة هو الحق الأول من حقوق الإنسان ، بل إنه رأس الحقوق جميعا، فبدون الحياة تصبح بقية الحقوق عديمة الجدوى و الفائدة ، من أجل هذا كان لهذا الحق أهمية قصوى في الإسلام .

وإذا كان هذا الحق قد جاء موجزاً في المادة الثالثة من إعلان (حقوق الإنسان) حيث تقول : " لكل إنسان الحق في الحياة ، والحرية ، وسلامة شخصيته" فإن الإسلام قد فضله وجعله حقاً مقدساً ، فلا يجوز لإنسان أن يعتدى على حياة إنسان أو المساس بها بأى شكل من أشكال الاعتداء، ويستوى فى ذلك المسلم وغير المسلم والحر والعبد، والرجل والمرأة والكبير والصغير ، فالجميع بشر متساوون في استحقاق الحياة، و ﴿ من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾[2]و " ومن قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة " [رواه البخاري] .

إن حق الإنسان في الحياة المقدس في الإسلام ولا يسلب من أي إنسان – مهما يكن هذا الإنسان – إلا بال إجراءات التي تقررها الشريعة الإسلامية وقواعدها المنظمة لهذه الأمور ، بل إن الإسلام عندما قرر القصاص في حالة القتل العمد ، فإنه جعل لولى المقتول أن يعفو عن حقه في هذا القصاص ، تقديسا لحق الإنسان في الحياة .

---

(١) سورة الكهف آية رقم (٩٤)

(٢) سورة المائدة آية رقم (٣٢)

فالإنسانية قيمة لها احترامها في الإسلام ، وليس ذلك خاصا بحالة الإنسان أثناء الحياة فحسب ، بل يمتد ذلك الحق وهذه الحماية للإنسانية في أثناء الموت وبعد الموت أيضا إذ من حق الإنسان إذا توفى أن نحترم جثمانه ونترفق به ونكرمه لقول النبي — صلى الله عليه وسلم — " إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه " [رواه مسلم و أبو داود و الترمذي و النسائي] ، بل يجب على الإنسان أن يستر عيوب أخيه الإنسان الشخصية ، ويدارى سوءاته ، فلا يطلع أحدا عليها بلعن أو سب للمتوفى ، لقوله — صلى الله عليه وسلم — " لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا " [رواه البخاري] فمن حق الإنسان الذي مات و دفن أن يحترم أيضا ، فلا يفضح بذكر عيوبه و سوءاته ، ويترك أمره لصاحب الأمر وهو الله عز وجل بل الإسلام نهى عن الاختلاء على القبور و تدنيسها ٠

هذا ولقد بلغ من اهتمام الإسلام بهذا الحق وتقديسه له أنه جعل التقاط " اللقيط " من فروض الكفايات التي إذا قام بها البعض سقطت عن الباقين و إن لم يقم بها أحد أثم الجميع أمام الله تعالى ، وذلك صيانة لحق الحياة و كرامة الإنسان ٠

٢- حــق المســاواة

الناس جميعاً يرجعون إلى أصل واحد ، ومن ثم فلابد أن يكونوا متساويين في القيمة الإنسانية ، فالجميع يرجع إلى آدم ﴿يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً﴾ [١] وآدم يرجع أصله إلى التراب ﴿إن مثل عيسي عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ [٢] و " كلكم لآدم وآدم من تراب " .

---

(١) سورة النساء آية رقم (١)

(٢) سورة آل عمران آية رقم (٥٩)

وإذا كان البشر متساويين في الأصل والنشأة فإنه ليس هناك ميزان للتفاضل إلا الأعمال التي يؤديها كل منهم ﴿ ولكل درجَت مما عملوا ﴾ [1] وتقوى الله في هذه الأعمال المؤداة ﴿ يأيها الناس إنا خلقنكم من ذكر وأنثى وجعلنكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [2]

وإذا كان الناس متساويين في القيمة الإنسانية ، فإنه لا يجوز أن يتعرض إنسان لخطر أو ضرر بأكثر مما يتعرض له غيره من الناس ، حيث " المسلمون تتكافأ دماؤهم " [رواه أحمد في مسنده] .

وإذا كان الأمر كذلك فليس هناك مبرر ولا مسوغ للتفريق بين الناس على أساس اللون أو الجنس أو العرق أو اللغة أو الدين وأي تفرقة من هذا القبيل تكون منافية وهادمة لمبدأ المساواة الذي أقره الإسلام الحنيف " ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه " [رواه مسلم] .

وإذا كان الناس أمام الإسلام متساويين في القيمة الإنسانية فلابد أن يكونوا متساويين في تطبيق شرع الله عليهم ، لا يستثني من ذلك أحد مهما يكن منصبه أو جاهه أو غناه أو شرفه و نسبه فالناس أمام تطبيق الشرع وقوانينه سواء ، ولهذا قال الرسول – صلى الله عليه وسلم – لمن استشفع لامرأة من بني مخزوم سرقت:" أتشفع في حد من حدود الله؟ إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " [رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي] .

فشريعة الإسلام تحمي صاحب الجاه والسلطان والمحروم منهما ، وتحمي الغني و الفقير ، وتحمي القوي و الضعيف سواء بسواء ، لا فرق بين إنسان وآخر، لأنها تحترم

---

(١) سورة الأحقاف آية رقم (١٩)

(٢) سورة الحجرات آية رقم (١٣)

الإنسان مهما يكن هذا الإنسان " ألا إن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه ، وأقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له" [من خطبة لأبي بكر– رضى الله عنه – عند توليه الخلافة] .

ومادام الناس متساويين في القيمة الإنسانية ، وأمام تطبيق الشرع عليهم دون استثناء وحمايته لهم ، فإنه يلزم أن يكونوا متساويين في حق الانتفاع بالموارد المادية للمجتمع من خلال فرص عمل متكافئة فلكل إنسان أن يأخذ فرصته في العمل كما يأخذ غيره فرصته ، ولاسيما أن موارد الرزق قد أتاحها الله للجميع بقوله ﴿ فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ﴾ (١) .

وإذا كان الجهد المبذول واحداً والعمل المؤدى واحداً من حيث الكم والكيف، فإنه لا يجوز التفرقة في الأجر بين إنسان و آخر :

﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ (٢)ومن هنا فلا معنى إطلاقا لأن يأخذ إنسان ما أجرا أكبر من أجر إنسان آخر يعمل العمل نفسه، كما يحدث أحيانا في بعض الدول هذا هو حق المساواة الذي سبق به الإسلام (إعلان حقوق الإنسان) الذي أقرته (الأمم المتحدة) والذي جاء فيه " يحق لكل فرد أن يستمتع بجميع الحقوق والحريات المنصوص عليها في هذا الإعلان دون تفرقة أو تمييز من أي نوع ، كالتمييز بسبب السلالة أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو غيره من الآراء أو الأصل القومي أو الاجتماعي أو الثروة أو المولد أو غير ذلك من الأوضاع ".

---

(١) سورة الملك آية رقم (١٥)

(٢) سورة الزلزلة آية رقم (٧ ، ٨)

٣- حق الحريـــــة

حق الإنسان في الحرية حق مقدس ، بل إنه لا يقل قداسة عن حقه في الحياة، فالحرية في شريعة الإسلام صفة طبيعية لكل إنسان ، فهو يولد بهـــــا وتظل تلازمه إلى أن يموت عليها ، فما من مولود إلا ويولد على الفطرة التي خلقه الله عليها .

والحرية في حقيقة الأمر هي معنى الإنسانية ، و الإنسانية هي الحرية ومن ثم فإن من يفتقد الحرية فإن هذا يعنى أنه افتقد الإنسانية ، إذ الحرية هي الاختيار في الفعل والترجيح والموازنة في الحكم علي الأشياء وتقديرها ، والإنسانية التي يتميز بها الإنسان عن الحيوان هي استعداده لأن يفكر ويوازن فيما يفكر فيه ، ثم يختار ما يراه جديراً بالتنفيذ ولو لم يكن للإنسان هذا الاستعداد الفطري لكان هو والحيوان سواء في أنه – بحكم الفطرة – لا يستطيع أن يفرق بين ضار ونافع ، وبين حسن وقبيح ، ومن ثم لا يجد مجالا للاختيار والترجيح ، ومجال حركته في الحياة عندئذ هو أن يساق حيث يريد غيره لا حيث يريد هو ، وبدفع نحو ما يحقق مصلحة غيره دون ما يحقق مصلحته الخاصة .

فالإنسان – إذن – وحده هو صاحب الإنسانية وصاحب الحرية بين الكائنات الحية، فهو حر فيما يعامل به غيره ، ولا ضابط لحركته هذه إلا إبعاد الأذى عن نفسه وعن غيره ممن يعيشون معه في مجتمع الإنسانية ومادامت الحرية هي الصفة الطبيعية التي ولد عليها الإنسان ، ومادامت هي معنى الإنسانية في الإنسان ، ومادامت لها هذه القداسة فإنه لا يجوز لإنسان أن يعتدى على حرية إنسان آخر ، ولهذا قال عمر – رضى الله عنه– قولته الشهيرة :" متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً "[١].

فإذا كان الأمر كذلك فإنه يجب توفير الحماية لحرية الإنسان ، فلا يجوز أن تقيد أو يحد منها إلا بحسب ما تقتضيه الشريعة الإسلامية التي نزلت أصلا لمصلحة الإنسان

---

(١) السيوطى : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ج٢ص ١١ .

ونفعه ودفع الضرر عنه إن الإسلام في تقريره لحق الحرية قد سبق " الإعلان العالمي عن حقوق الإنسان" الذي جاء في المادة الأولي منه :

" يولد الناس جميعا أحرارا متساوين في الكرامة والحقوق " وجاء في المادة الثالثة : "لكل إنسان الحق في الحياة و الحرية " وإذا كان الإسلام يمنع أن يعتدي إنسان على حرية إنسان آخر ، فإنه في الوقت نفسه يمنع أن يعتدي شعب على حرية شعب آخر ، أو أن تعتدي أمة على أمة أو دولة على دولة مهما يكن الدافع إلى ذلك ، فإذا حدث اعتداء فللمعتدى علية أن يقاوم هذا الاعتداء وأن يستعيد حريته ويستردها بما يستطيع من وسائل وإمكانات وعدة وعتاد ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ [1] ، وعلى المجتمع الإنساني كافة أن يساند من يجاهد في سبيل حريته حتى يستردها، وعلى المسلمين واجب لا يمكن أن يتخلوا عنه ، فهم خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتنشر السلام والأمن والحرية في ربوع العالم بأسره، وهذه غاية سامية ومهمة نبيلة يجب المحافظة عليها .

٤- حـــق العدالـــة .

العدل اسم من أسماء الله عز وجل ، وصفة من صفاته ، ومن ثم كان من الحقوق التى لها اهمية عظمى فى اطمئنان الأفراد واستقرار المجتمعات وأمن الأوطان والمواطنين . ومن هنا أيضاً استحق أن يكون " ميزان الله فى الأرض " [2] والظلم صفة ذميمة سيئة نفاها الله عن نفسه . ﴿ وما رُبك بظلّم للعبيد ﴾[3] ولم يردها سبحانه لخلقه ﴿ وما الله يريد ظلماً للعَلمين ﴾ [4] ، ومن ثم كان موبقاً " ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم

---

(١) سورة الشورى أية رقم (٤١)

(٢) الماوردى : نصيحة الملوك ص ، ٣٥١ .

(٣) سورة فصلت آية رقم (٤٦)

(٤) سورة آل عمران آية رقم (١٠٨)

القيامة مغلولاً ، ولا يفكه إلا العدل، أو يوبقه الجور " [رواه أحمد فى مسنده] والحق أن العدل صفة خلقية حميدة تنعكس فى كل نواحى حياة المؤمنين المتقين النفسية والاجتماعية والسياسية فالإنسان المسلم عادل مع نفسه ، فهو لا يظلمها بالإنحراف والخروج عن شرع الله وتعدى حدوده ﴿ ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ﴾ [1]. ﴿وما ظلمهم الله ولَكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ [2]وقد أمر الله المؤمنين بالتزام العدل ﴿ إن الله يأمُر بالعدل والإحسَن[3]﴾ ، سواء كان هذا العدل فى الأقوال أو الأفعال أو الأحكام، وألا يثنيهم عن ذلك صلات القرابة والمودة ، ولا مشاعر الكراهية والعداوة والانفعالات العاطفية من حب وبغض ﴿ ولا يَجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ [4] .

فالعدل فى الإسلام مبدأ خلقى مطلق ، يطلق على كل الناس ، وفى جميع الظروف والأحوال والأزمان والبيئات . وليس العدل – كما هو فى المجتمعات العنصرية والطبقية – ميزة يحتكر التمتع بها أفراد الجنس الأبيض أو طبقات الأغنياء وأمثالهم أن من حق كل إنسان – فى الإسلام – أن يتحاكم إلى الشريعة ، وأن يحاكم إليها – كما جاء بها القرآن الكريم والسنة المطهرة – دون سواها .

﴿ فإن تنـزعتم فى شىء فرُدوه إلى الله والرسول ﴾[5] ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ﴾[6] كما أن حق كل إنسان أن يدفع عن نفسه ما يلحقه

(١) سورة الطلاق آية رقم (١)

(٢) سورة النحل آية رقم (٣٣)

(٣) سورة النحل آية رقم (٩٠)

(٤) سورة المائدة آية رقم (٨)

(٥) سورة النساء آية رقم (٥٩)

(٦) سورة المائدة آية رقم (٤٩)

من ظلم ﴿ لا يُحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلم﴾[1] ، ومن واجب كل إنسان أن يدفع الظلم عن غيره بما يملك من وسائل " لينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً : إن كان ظالماً فلينهه ، وإن كان مظلوماً فلينصره "[رواه الشيخان والترمذي] ومن حق الإنسان كذلك أن يلجأ إلى سلطة شرعية تحميه وتنصفه ، وتدفع عنه ما لحقه من ضرر أو ظلم ، وعلى الحاكم المسلم أن يقيم هذه السلطة ويوفر لها الضمانات اللازمة والكفيلة بحيدها واستقلالها فالرسول – صلى الله عليه وسلم – يقول : " إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ،ويحتمي به " [متفق عليه] .

يضاف إلى ذلك أن من حق الإنسان ، بل من واجبه ، أن يقوم بالدفاع عن الآخرين احتساباً لوجه الله وابتغاء مرضاته ، ومن غير أن يطلب منه القيام بهذه الشهادة " ألا أخبركم بخير الشهداء ؟ الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها " [رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي] .

وحق الإنسان في دفاعه عن نفسه حق مقدس لا تجوز مصادرته تحت أي مسوغ كان ولا بأي وجه من الوجوه ، فقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم – عندما تقاضاه يهودي فأساء التقاضي وأغلظ في القول : " دعوه فإن لصاحب الحق مقالا " [رواه البخاري و مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي] .

وقال لمن يقضي: "إذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر، كما سمعت من الأول ، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء"[رواه أبو داود والترمذي] وليس لإنسان أن يلزم مسلماً بأن يطيع أمراً يخالف شرع الله ، لأنه " إذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة " [رواه البخاري و مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي] كما أن من حق من يقول : "لا " في وجه من يأمر بمعصية أن يحمي المجتمع رفضه ، تضامناً مع الحق لأن " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه"[رواه

(١) سورة النساء آية رقم (١٤٨)

البخاري] هذا هو حق العدالة الذي قرره الإسلام وأكده وحرص عليه ، وقد عبر " الإعلان العالمي لحقوق الإنسان " عن هذا الحق في المادة السابعة والمادة الثامنة ، فقد جاء فيهما : " كل الناس سواء أمام القانون ، ومن حقهم جميعاً أن يحميهم القانون دون تمييز ، وكل منهم ذو حق متساو في أن يحميه القانون من أي تمييز " ، " لكل إنسان الحق في الالتجاء إلى المحاكم الوطنية المختصة لتدفع عنه أي عدوان على حقوقه الأساسية ".

ويتصل بهذا الحق حق الفرد في أن يحاكم محاكمة عادلة ، وفى هذا المجال يعتبر الإسلام أن براءة الإنسان هي الأصل . لقوله – صلى الله عليه وسلم – "كل أمتي معافى إلا المجاهرين" [متفق عليه] وهذه البراءة لا تنتفي عن الإنسان المتهم حتى تثبت إدانته إدانة نهائية لا محل فيها للشبهة أو الشك ، أمام محكمة تتوافر لها أركان العدالة كما أنه لا يعد الإنسان مجرماً إلا بنص شرعي ﴿ وما كنا مُعذبين حتى نبعث رسولا ﴾ [1]، وليس لمسلم أن يعتذر بالجهل لما هو معلوم من الدين بالضرورة غير أنه ينظر إلى جهله – إذا ثبت – على أنه شبهة تدرأ بها الحدود فقط ﴿ ليس عليكم جُناح فيما أخطأتم به ولَكن ما تعمدت قلوبكم ﴾ [2] .

ولا يحكم بتجريم إنسان ، ولا يعاقب على جرم إلا بعد بحث واستقصاء وبيان وبرهان وثبوته بأدلة صحيحة وأمام محكمة مختصة لها طبيعة قضائية كاملة ﴿أن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا ﴾ [3] ، ﴿ وإن الظن لا يُغنى من الحق شيئا ﴾[4] .

وعند تطبيق العقوبة على المجرم فإنه لا يجوز بحال تجاوز العقوبة المقررة شرعاً، وإنما يجب أن تقع العقوبات على مقادير الذنوب والجرائم ، كما لا يجوز أن يساوى

---

(١) سورة الاسراء آية رقم (١٥)

(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥)

(٣) سورة الحجرات آية رقم (٦)

(٤) سورة النجم آية رقم (٢٨)

بين ذوى الجرائم ، صغارها وكبارها ، وألا يماطل فى الحكم بعد قيام الحجة والبينة ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها ﴾[1] وقد حرصت الشريعة الإسلامية على مراعاة الظروف والملابسات التى حدثت فيها الجريمة درءاً للحدود، فقد قال عليه السلام:" ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله"[رواه البيهقى والحاكم] .

كما حرصت الشريعة الإسلامية على أن لا يؤخذ إنسان بجريرة غيره ، فالعقوبة فردية ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾[2] ، فكل إنسان فى الإسلام مسؤول عن أفعاله مسئولية كاملة ، ومستقل فى هذا استقلالاً كاملاً ، إذ ﴿ كُلُّ آمرىء بما كَسَبَ رَهين﴾[3]، ومن هنا فلا يجوز على الإطلاق أن تمتد المساءلة إلى أهل من أجرم وذويه أو غيرهم ﴿ مَعَاذَ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متَعَنا عنده إنا إذاً لظَلمون ﴾ [4]" لجميع الأفراد على السواء الحق فى محاكمة عادلة علنية أمام محكمة مستقلة تقرر حقوق الفرد وواجباته وتفصل فى أية تهمة جنائية توجه إليه" "كل متهم بجريمة له الحق فى أن يعتبر بريئاً حتى تثبت إدانته قانوناً بمحاكمة علنية تتوافر فيها كافة الضمانات التى تكفل له الدفاع عن نفسه" " لا يجوز اعتبار أى إنسان مذنباً بسبب ارتكابه فعلاً أو بسبب إهمال لم يعده قانون العقوبات الأهلى أو الدولى جريمة وقت ارتكابه ، كذلك لا يجوز أن ترقع عقوبة أشد من العقوبة التى كانت تطبق وقت ارتكابه هذا الجرم " . كما أنه " لا يجوز القبض على إنسان أو حبسه أو إبعاده بغير مسوغ قانونى" .

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٢)

(٢) سورة الاسراء آية رقم (١٥)

(٣) سورة الطور آية رقم (٢١)

(٤) سورة يوسف آية رقم (٧)

٥- حق الحمايــة من التعسف والتعذيــب .

إن حماية الإنسان من التعسف والتعذيب حق مقدس فى الإسلام ولا يقل فى قداسته عن أى حق آخر من حقوق الإنسان ، فقد أوجب الإسلام على ولى الأمر أن لا يحبس أحداً إلا بعد وجوب الحبس عليه ، بل إنه يجب على ولى الأمر أن يتعهد المحبوسين فى حبسهم فى ماكلهم وملبسهم احتراماً لإنسانيتهم . نعم ، لقد كفل الإسلام لكل إنسان حقه فى حمايته من تعسف السلطات معه بأى وجه من الوجوه ، فلا يجوز أن يطالب إنسان ما بتقديم تفسير لعمل من أعماله ، أو وضع من أوضاعه ، ولا توجيه اتهام له إلا بناء على قرائن قوية وأدلة واضحة تدل على تورطه فيما يوجه إلية من تهم : ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنَت بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتنا وإثما مبينا ﴾ (١) .

كما كفل الإسلام لكل إنسان حقه في الحماية من التعذيب ، فلا يجوز تعذيب المجرم فضلا عن التهم (إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا) [رواه البخاري ومسلم](من جلد ظهر مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان) [رواه البخاري ورواه الطبراني في الأوسط] ولا يجوز – أيضا – حمل الإنسان على الاعتراف بجريمة لم يرتكبها، وكل اعتراف ينتزع بوسائل الإكراه فهو اعتراف باطل (إن الله وضع عن أمتي الخطأ و النسيان وما استكرهوا عليه) [رواه ابن ماجة] .

ومهما كانت جريمة الإنسان ، ومهما تكن عقوبتها التي قررتها الشريعة الإسلامية فإن إنسانية وكرامته الإنسانية تظل مصونة ومحترمة وهذا ما عبرت عنه المادة الخامسة من (الإعلان العالمي) حيث تنص على أنه (لا يجوز تعريض أي إنسان للتعذيب ولا لضروب من المعاملة أو العقوبة القاسية المهينة المنافية للكرامة الإنسانية).

---

(١) سورة الاحزاب آية رقم (٥٨)

٦- حق حمـــاية العرض والسمعـــة

لذ . حرم الاسلام أن تنتهك سمعة الإنسان وعرضه ، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول :(إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا) [من خطبة النبي صلى الله عليه وسلم - في حجة الوداع] كما حرم الإسلام - أيضا - تتبع عورات الإنسان ومحاولة النيل من شخصيته المعنوية ﴿ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعض ﴾[1] ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقب ﴾ [2] .

ولقد قدس الإسلام حرية الإنسان وحرمة البيوت وعدم كشف حجب أسرارها في النص القرآني الكريم (ولا تجسسوا) فنهي عن تتبع عوراقم ونمي عن انتهاك حرمات الأنفس و البيوت و الأسرار و العورات ، وليس لأحد الحق في تتبع عورات الناس وفضح أسرارهم وهي من أسمي و أرفع المعاني الإنسانية في التعاليم الإسلامية كما نمي عن التنابز بالألقاب وفحش القول فإنها ليست من الإسلام في شئ .

٧- حـــق اللجـــوء

وهذا الحق كفله الإسلام لكل مظلوم أو مضطهد ، سواء كان مسلما أو غير مسلم ، أبيض أو أسود ، شرقيا أو غربيا ﴿ و إن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلم الله ثم أبلغه مامنه ﴾ [3] فللمظلوم أو المضطهد أن يلجأ إلى حيث يأمن في نطاق دار الإسلام وبيت الله الحرام بمكة المكرمة جعله الله مثابة للناس وأمنا ،

---

(١) سورة الحجرات آية رقم (١٢)

(٢) سورة الحجرات آية رقم (١١)

(٣)سورة التوبة آية رقم (٦)

فلا يصد عنه مسلم أبدا ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾ [١] ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابه للناس [٢]﴾ .

والإسلام بتقريره لهذا الحق سابق للإعلان العالمي الذي عبر عنه بقوله : (لكل إنسان الحق في أن يلتمس في غير وطنه ملجأ يفيد منه و يلوذ به من الاضطهاد) .

٨- حقــوق الأقلية

لقد وضع الإسلام مبدأ عام يحكم الأوضاع الدينية للأقليات هذا المبدأ العام هو ﴿لا إكراه في الدين ﴾ [٣] أما الأوضاع المدلية والأحوال الشخصية لهذه الأقليات فالشريعة الإسلامية تحكمها إن هم تحاكموا إلى المسلمين ﴿ فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم و إن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا و إن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ﴾ [٤] فإن لم يتحاكموا إلى المسلمين فإن عليهم أن يتحاكموا إلى شرائعهم مادامت تنتمي عندهم لأصل سماوي ﴿ وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذل[٥]﴾ ﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ﴾ [٦].

٩- حــق المشاركة في الحياة العامة

لقد قرر الإسلام حقا لكل إنسان في أن يعلم ما يجري في حياة أمته ، من أمور تتعلق بمصلحة المجتمع ، فلكل إنسان أن يشارك في هذه الأمور بحسب ما أوتى من مواهب وقدرات ومهارات ، وذلك تطبيقا لمبدأ مهم في شريعة الإسلام هو مبدأ

---

(١) سورة آل عمران آية رقم (٩٧)

(٢) سورة البقرة آية رقم (١٢٥)

(٣) سورة البقرة آية رقم (٢٥٦)

(٤) سورة المائدة آية رقم (٤٢)

(٥) سورة المائدة آية رقم (٤٣)

(٦) سورة المائدة آية رقم (٤٧)

الشورى ، فقد قال تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ [1] ومن هنا فإن كل إنسان يصلح لأن يتولى المناصب و الوظائف العامة في أمته ، متى توافرت في هذا الإنسان الشرائط الشرعية اللازمة لتولى هذه المناصب و الوظائف، وهذه الصلاحية لا ينبغي – أبدا – أن تسقط أو ينقص منها، لأي سبـــــب من الأسباب الطبقية أو العنصرية إذ (المسلمون تتكافأ دماؤهم ، وهم يد على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم) [رواه أحمد].

ومبدأ الشورى هو أساس العلاقة بين الراعى و الرعية ، فمن حق الرعية أن تختار راعيها ، بإرادها الحرة تطبيقا لهذا المبدأ المهم ، كما أن من حقها – في الوقت نفسه – مراقبته ومحاسبته وعزله إذا حاد عن الشريعة والمحرف عن تنفيذها ، فالصديق أبو بكر – رضى الله عنه – يقول عندما تولى الخلافة : (إني توليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتموني على حق فأعينوني ، و إن رأيتموني علي باطل فقوموني ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم)، ومن حق الراعي على رعيته أن تطيعه وتنصره . والحق أن الشورى قاعدة من قواعد الإسلام المهمة ، ودعامة من دعائم نظامه السياسي الأساسية ، ثبتت حجيتهــــا ووجوبها بالقرآن والسنة وأعمال سلف الأمة ،وتشريع الإسلام في معالجته إياها قد جاء من العموم والمرونة بحيث يسمح للأمة الإسلامية أن تختار للقيام بواجب الشورى الشكل الذي يلائم الأوضاع المختلفة في الأزمنة والأمكنة المختلفة وحق الإنسان في المشاركة في الحياة العامة عبر عنه (الإعلان العالمي) بقوله : لكل إنسان الحق في الاشتراك في حكومة بلاده، سواء أكان ذلك مباشرة أم بواسطة ممثلين منتخبين انتخابا حرا ، لجميع الأفراد على السواء الحق في الالتحاق بالوظائف العامة في بلادهم) .

---

(١) سورة الشورى آية رقم (٣٨)

١٠- حق حريـــة الاعتقاد والتفكيـــر و التعبير

من حق كل إنسان – في الإسلام – أن يعتقد ، وأن يفكر ، و أن يعبر عن اعتقاده و فكره ، وذلك دون تدخل أو مصادرة من أي جهة كانت ، طالما كان هذا الاعتقاد والتفكير والتعبير يلتزم الحدود و المبادئ العامة التي يقرها الشرع الإسلامي فلا يجوز – بأي وجه من الوجوه – نشره بالباطل ، ولا إذاعة ما فيه ترويج للفحش أو تثبيط للدولة الإسلامية ﴿ لئن لم ينته المنفقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ماعونين أينما ثقفوا أخذوا تقتيلا ﴾[1]
إن الإسلام يجعل التفكير الحر النزيه الباحث عن الحق واجبا على المسلم لا يجوز له أن يتخلى عه أبدا ﴿قل إنما أعظكم بوحدة أن تقوموا لله مثني وفردي ثم تتفكروا ﴾[2]
فالإسلام يقف من تفكير الإنسان موقف المقر له ، لأنه من طبيعته ، ولهذا فهو لا يكبته وإنما يوجهه ويرسم له الاتجاه الذي يتحرك فيه ، وهو إذ يرسم له الاتجاه يضع خطوطا عامة هي تلك الخطوط التي تحدد ما يسميه بالحلال والحرام ، وتحت أمر عام هـــو (لا ضرر ولا ضرار) فعلى الإنسان أن يفكر ، ولكن فيما ينفع لا فيما يضر ، فيما ينفع نفسه وغيره ، وفيما يقي نفسه وغيره من الضرر والإيذاء إن الإسلام يريد من الإنسان أن يفكر : كيف يصعد ، ولا كيف ينحدر وينزل ، كيف يتعلم ويزيد من علمه ، ولا كيف يعرض عن العلم والمعرفة .

كيف يحسن ، ولا كيف يسيء ، كيف يبني ، ولا كيف يهدم ... يبني لنفسه و لأمته ، ولا يهدم نفسه و أمته كما أن من حق كل إنسان ، بل ومن واجبه، أن يعبر عن رفضه للظلم ، وأن ينكره ، وأن يقاومه ، دون خوف من أحد، لأن هذا من أفضل الجهاد الذي أمرنا الله ورسوله به فقد سئل النبي – صلى الله عليه وسلم – (أي

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٦٠- ٦١)

(٢) سورة سبأ آية رقم (٤٦)

الجهاد أفضل قال : كلمة حق تقال عند سلطان جائر) [رواه الترمذى و النسائي]
والإسلام في توجيه حرية التعبير يسلك عدة سبل لاقناع الإنسان بأن يكون تعبيره بعيدا عن الإيذاء لنفسه ولغيره – ماديا و معنويا – سواء كان هذا الغير فردا في مجتمعه وعلى اعتقاده أو كان في مجتمع آخر وعلى عقيدة أخرى كما أن إذاعة المعلومات الصحيحة والحقائق أمر لا يحظره الإسلام إلا إذا كان ذلك يحتوى على خطر يهدد أمن الدولة وسلامتها ، ويقول سبحانه : ﴿ وإذا جآءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول و إلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ (١)

وإذا كان الإسلام يقر حق التفكير و الاعتقاد والتعبير فإن بناء على هذا لا يجيز لإنسان أن يسخر من معتقدات إنسان آخر ، ولا يثير المجتمع ضده ، لأن احترام مشاعر المخالفين في الدين من خلق المسلم الحقيقي﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم ﴾ (٢)
بل إن الإسلام قد كفل الحرية الدينية لكل إنسان ، فله أن يعتقد ما يشاء وأن يقيم عبادته بحسب معتقده : ﴿ لكم دينكم ولى دين ﴾ (٣)

١١– حق الدعوة والتبليـــغ .

من حق كل إنسان أن يشارك فى حياة المجتمع الذى يعيش فيه سواء كان ذلك دينياً، أو جتماعياً ، أو ثقافياً ، أو سياسياً ، أو غير ذلك ، وأن ينشىء من الوسائل ما يكفل له هذا الحق وممارسته ممارسة فعلية : ﴿ ولتكن منكم أمةٌ يدعون إلى الخير

---

(١) سورة النساء آية رقم (٨٣)
(٢) سورة الانعام آية رقم (١٠٨)
(٣) سورة الكافرون آية رقم (٦)

ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ [1] كما أن من واجب كل إنسان مسلم أن يأمر بالمعروف وأن ينهى عن المنكر ، وأن يطلب من مجتمعه أن يقيم مؤسسات للأشخاص تمكن للأشخاص أن يقوموا بهذا الواجب ، وذلك من باب التعاون على البر والتقوى والتناهى عن الإثم والعدوان ﴿ قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ﴾ [2] ، ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ [3]، " إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب " [رواه أصحاب السنن] والحق أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو وظيفة الأمة الإسلامية ومن ثم فإن له أهمية عظمى . يقول أبو حامد الغزالى : "الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين ، وهو المهمة التى ابتعث الله لها النبيين أجمعين ، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة ، وعمت الفتنة ، وفشت الضلالة ، وشاعت الجهالة ، واستشرى الفساد ، واتسع الخرق ، وخربت البلاد، وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد ، وقد كان الذى خفنا أن يكون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه ، وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه ، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق ، وانمحت عنها مراقبة الخالق ، واسترسل الناس فى اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم ، وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه فى الله لومة لائم فمن سعى فى تلافى هذه الفتنة، وسد هذه الثلمة ، إما متكفلاً بعلمها ، أو متقلداً لتنفيذها ، مجدداً لهذه السنة الدائرة، ناهضاً بأعبائها ، ومتشمراً فى إحيائها ، كان مستأثراً من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها ، ومستمسكاً بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها " [4] وحق

---

(١) سورة آل عمران آية رقم (١٠٤)

(٢) سورة يوسف آية رقم (١٠٨)

(٣) سورة المائدة آية رقم (٢)

(٤) ابو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ج٢ ص ٢٦٩ .

الدعوة والتبليغ عبر عنه " الإعلان العالمى " بقوله : "لكل إنسان الحق فى حرية حضور الاجتماعات السلمية والانضمام إلى الجمعيات ذات الأغراض السلمية " ، " لا يجوز إكراه إنسان على الانضمام إلى جمعية من الجمعيات "[1]، " لكل إنسان الحق فى الاشتراك بمحض إرادته فى حياة المجتمع الثقافية " [2] .

١٢- الحقوق الاقتصادية والعمالية .

إن الثروات الطبيعية بجميع أنواعها ، بل الطبيعة كلها ، والكون كله ملك لله سبحانه ﴿ لله ملك السموٰت والأرض وما فيهن ﴾ [3] ، وقد منح الله الإنسان حق الانتفاع بهذه الثروات فسخر الطبيعة له ﴿ وسخر لكم ما في السمٰوٰت وما فى الأرض جميعاً منه ﴾ [4]وقد حرم الله على الإنسان أن يفسد ما سخر له أو يخربه ﴿ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ﴾ [5]، وليس لإنسان أن يحرم إنساناً آخر من الانتفاع بما فى الطبيعة من مصادر رزق أو يعتدى على حقه فى هذا بأى حال ﴿ وما كان عطاء ربك محظورا ﴾ [8][6] ومن هنا فلكل إنسان أن يحصل رزقه من وجوهه المشروعة ، أى أن يعمل وينتج فى مجال مباح ﴿ فأمشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ﴾ [7]وله أن يمتلك ما أكتسبه بجهده وعمله إذ الملكية الخاصة أمر مشروع سواء كانت على انفراد أو مشاركة ﴿ وأنه هو أغنى وأقنى ﴾ [9]وإذا كان الإسلام يقر الملكية الخاصة فإنه فى

---

(١) المادة (٢٠)

(٢) المادة (٢٧) البند " أ " .

(٣) سورة المائدة آية رقم (١٢٠)

(٤) سورة الجاثية آية رقم (١٢)

(٥) سورة الشعراء آية رقم (٨٣)

(٦) سورة الاسراء آية رقم (٢٠)

(٧) سورة الملك آية رقم (١٥)

(٨) سورة النجم آية رقم (٤٨)

الوقت نفسه يقر الملكية العامة . ويوظفها لصالح المجتمع ككل ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فالله وللرسول ولذى القربى واليتمى والمسكين وابن السبيل كى لا يكون دُولة بين الغنياء منكم ﴾ [١] .

وقد عبر " الإعلان العالمي " عن هذا بقوله : " لكل إنسان الحق فى التملك ، سواء وحده أو بالاشتراك مع غيره " " لا يجوز حرمان إنسان من أملاكه بغير مسوغ قانونى " (٢) غير أن الإسلام يزيد على هذا حيث جعل لفقراء الأمة حقاً مقرراً فى مال أغنيائها ، هذا الحق لا يجوز تعطيله أو منعه أو الترخص فيه من جانب أى إنسان هذا الحق نظمته الزكاة التى هى أحد الأركان الأساسية فى الإسلام ولهذا قاتل أبو بكر الذين امتنعوا عن أداء الزكاة .

كما أن الإسلام ينهى المسلمين عن إهمال مصادر الثروة ووسائل الإنتاج أو تعطيلها، ويأمرهم بتوظيفهما لصالح المجتمع كله . لأنه " ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها النصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة " [متفق عليه] وقد نهى الإسلام إيضاً عن استثمار الثروة ووسائل الإنتاج فيما حرمته الشريعة . حيث المبدأ العام فى الإسلام أنه " لا ضرر ولا ضرار " إن الإسلام قد وضع الضوابط التى ترشد النشاط الاقتصادى وتضمن سلامته . من هذه الضوابط

(أ) أن الإسلام حرم الغش بكل أشكاله " ليس منا من غش "[رواه مسلم].

(ب) أنه حرم الغرر والجهالة ، وكل ما يؤدى إلى منازعات لا تخضع لمقاييس موضوعية ، فقد " نهى النبى – صلى الله عليه وسلم – عن بيع العنب حتى يسود وعن بيع الحب حتى يشتد " [رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى] .

---

(١) سورة الحشر آية رقم (٧)

فالإسلام يحرم بيع الأشياء المجهولة وغير المحددة كما فى هذا الحديث وكبيع الطير فى الهواء والسمك فى الماء وغير ذلك مما يؤدى إلى التنازع بين الناس بسبب الجهالة وعدم التحديد للمتعاقد عليه .

(جـ) أنه حرم الاستغلال والتظالم فى عمليات التبادل ﴿ ويلٌ للمُطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرون ﴾ [١] .

(د) أنه حرم الاحتكار لضروريات الناس ، وكل ما يؤدى إلى منافسة غير متكافئة، فالمحتكر يستغل حاجات الناس ويربح ربحاً فاحشاً على حسابهم، و " لا يحتكر إلا خاطئ " [رواه مسلم] ، و " من احتكر طعاماً أربعين يوماً فقد بريء من الله وبرئ الله منه " [رواه أحمد] .

(هـ) أنه حرم الربا وكل كسب طفيلي يستغل ضوائق الناس ، لأنه ربح بلا جهد، ولأنه يقضى على روح التعاون ويؤدى إلى تضخم الثروات وزيادة الفروق بين الطبقات ، وكثيراً ما كان اقتراض الدول وسيلة للاستعمار وفقدان الاستقلال الوطني "[٢] .

(و) أنه حرم كنز الأموال وتكديسها فى أيدى فئة قليلة من الناس لأن فى ذلك منعاً لها من التبادل الاقتصادي الذي لابد منه لحاجة المجتمع

(ز) انه حرم بيع الأشياء المحرمة ، كالخنزير والخمر والأصنام والصلبان وغيرها ، لما فى ذلك من المعصية .

---

(١) سورة المطففين آية رقم (١-٣)

(٢) د . محفوظ عزام : نظرات في الثقافة الاسلامية ص ٢٥٨ .

(ح) أنه حرم الإسراف فى استعمال المال ، لما فى ذلك من تبديد لأموال يحتاجها المجتمع الإسلامى ، كما حرم أن يكون التملك بوسائل غير مشروعة كالسرقة أو النهب أو الغصب [1] .

(ط) أنه حرم الدعايات الكاذبة والخادعة فى البيع والشراء ، إذ " البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما ، وإن غشا وكذبا محقت بركة بيعهما " [رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى] .

هذا ، والقيد الوحيد على النشاط الاقتصادى فى المجتمع الإسلامى هو رعاية مصالح الناس والتزام القيم العامة للإسلام .

ويتصل بالحقوق الاقتصادية أنه لا يجوز انتزاع ملكية نتجت عن كسب حلال إلا لمصلحة عامة ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالبٰطل﴾ [2] على أن يعطى لصاحبها تعويض عادل ، لأنه " من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين " [رواه البخارى] .

وهذه الملكية العامة لها حرمة أعظم ، وعقوبة الاعتداء عليها أشد ، لأنه عدوان على المجتمع بأسره ، وخيانة للأمة كلها ، " من استعملناه منكم على عمل فكتمنا فيه مخيطاً فما فوقه كان غلولاً يأتى به يوم القيامة "رواه مسلم] ، وقد "قيل يا رسول الله: إن فلاناً قد استشهد قال : كلا ! لقد رأيته فى النار بعباءة قد غلها ، ثم قال : يا عمر : قم ، فناد : أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون (ثلاثاً) " [رواه مسلم والترمذى].

---

(١) د . محفوظ عزام : المرجع السابق – ص ٢٥٩ .

(٢) سورة البقرة آية رقم (١٨٨)

هذه هى الحقوق الاقتصادية أما فيما يتعلق بالحقوق العمالية فإننا نستطيع القول بأن " العمل " شعار رفعه الإسلام لمجتمعه ﴿ وقُل أعملوا ﴾ [1] وحق العمل فى الإسلام هو الإتقان لقول النبى – صلى الله عليه وسلم – : " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه " [رواه أبو يعلى]

أما حق العامل فيتلخص فيما يلى :

(أ) ان يأخذ أجراً يتناسب مع ما يبذله من جهد من غير أن يظلم أو يماطل فى إعطائه حقه " أعطوا الأجير أجره قبل ان يجف عرقه "[رواه ابن ماجه].

(ب) أن يحيا حياة كريمة تتكافأ مع ما يبذله من جهد وعرق ﴿ ولكل درجَت مما عملوا ﴾ [2] .

(جـ) أن يحظى بما هو جدير به من تكريم المجتمع بأسره له ﴿ فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ [3] و" إن الله يحب المؤمن المحترف " [رواه الطبرانى]

.

(د) أن يحظى بالرعاية والحماية ، فلا تستغل ظروفه ولا يظلم ، لقول الله تعالى : " ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ورجل باع حراً فاكل ثمنه ، ورجل استاجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره " [حديث قدسى ، رواه البخارى] .

١٣– حق الإنسان فى أن ينال ما يكفيه .

من حق كل إنسان أن يحصل على كفايته من مقومات الحياة وضروراتها ، من مطعم ومشرب وملبس ومسكن ، وما يلزم لصحة جسمه من رعاية وما يلزم لصحة

---

(١) سورة التوبة آية رقم (١٠٥)

(٢) سورة الأحقاب آية رقم (١٩)

(٣) سورة التوبة آية رقم (١٠٥)

روحه وعقله من علم ومعرفة وثقافة فى نطاق ما تسمح به موارد الدولة . يضاف إلى ذلك أن كل ما لها يستطيع الفرد أن يستقل بتوفيره لنفسه فعلى الأمة توفيره .

١٤- حق بناء الأسرة .

من حق كل إنسان أن يتزوج ، فالزواج هو الطريق الشرعى لبناء الأسرة وإنجاب الذرية وإعفاف النفس . ولكل من الزوجين حق قبل الآخر وعليه واجب ﴿ ولهن مثلُ الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾ [١]، وللأب أن يربى أولاده وفقاً لعقيدته وشريعته من الناحية البدنية والخلقية والدينية ، وهو مسئول عن اختياره فى توجيههم " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " [رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى] كما أن لكل من الزوجين قبل الآخر حق احترامه ، وتقدير مشاعره وظروفه فى إطار من المودة والرحمة لقوله تعالى . ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مــودةً ورحمة﴾[٢]، وعلى الزوج أن ينفق على زوجته وأولاده من غير تقتير ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قُدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ﴾ [٣]

وعلى الأبوين أن يحسنا تربية طفلهما وتعليمه وتأديبه ، لأن هذا حق له عليهما ﴿وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ﴾ [٤] ولا يجوز تشغيل الطفل فى سن مبكرة، ولا تحميله من الأعمال ما يرهقه أو يعوق نموه ، أو يحول بينه وبين حقه فى التعلم واللعب . وإذا عجز الأبوان عن القيام بمسئوليتهما نحو طفلهما ، فإن هذه المسئولية تنتقل إلى الدولة بحيث ينفق على الطفل من بيت مال المسلمين أو الخزانة العامة للدولة

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٢٨)

(٢) سورة الروم آية رقم (٢١)

(٣) سورة الطلاق آية رقم (٧)

(٤) سورة الاسراء آية رقم (٢٤)

بالتعبير الحديث . يقول عليه الصلاة والسلام : " أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ، فمن ترك ديناً أو ضيعة [1]فعلى ، ومن ترك مالاً فلورثته " [رواه الشيخان وأبو داود والترمذى] .

لقد كفل الإسلام لكل إنسان فى الأسرة أن ينال منها ما هو فى حاجة إليه، سواء كان رعاية وحناناً أو كفاية مادية ، وذلك فى كل مراحل العمر.

وفى جميع الحالات ، وللوالدين على أولادهما حق كفالتهما ورعايتهما ، وللأمومة حق فى رعاية خاصة من الأسرة إن مسئولية الأسرة شركة بين أفرادها ، كل بقدر ما يستطيع وهى مسئولية تتسع دائرتها لتشمل الأقارب وذوى الأرحام .

" يا رسول الله : من أبر ؟ قال : أمك . ثم أمك . ثم أمك . ثم أباك . ثم الأقرب فالأقرب " [رواه أبو داود والترمذى] وفى الإسلام لا يجبر الفتى أو الفتاة على الزواج ممن لا يرغب فيه ، فقد " جاءت جارية بكر إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فذكرت أن أباها زوجها وهى كارهة فخيرها النبي – صلى الله عليه وسلم – "[رواه أحمد وأبو داود].

أما حقوق الزوجة فهي :

(أ) أن يعطيها زوجها مهراً ﴿ وءاتوا النساء صدقتهن نحلة ﴾ [2]

(ب) أن تعيش مع زوجها حيث يعيش ﴿ اسكنوهن من حيث سكنتم ﴾ [3].

(جـ) أن ينفق عليها طوال زواجهما ، وخلال فترة عدتها إن هو طلقها ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل بعضهم على بعض وبما أنفقوا من

---

(١) أي ذرية صغارا يخشى عليهم الضياع

(٢) سورة النساء آية رقم (٤)

(٣) سورة الطلاق آية رقم (٦)

أموالهم﴾ (1)، ﴿ وإن كن أولَت حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ﴾(2) .
وأن تأخذ من مطلقها نفقة من تحضنهم من أولاده منها ، بما يتناسب مع كسب أبيهم ﴿ فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ﴾ (3) .

(د) أن تطلب من زوجها إنهاء العقد ودياً عن طريق الخلع ﴿ فإن خفتم ألا تقيما (أي الزوجان) حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ﴾ (4)كما أن لها أن تطلب الطلاق قضائياً فى حدود الأحكام الشرعية الخاصة بذلك .

(هـ) أن ترث زوجها ﴿ ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم ﴾ (5) .

(و) ألا يظلمها زوجها ، بأن يهجرها لغير عذر شرعي ، أو يمسكها فى بيته وهو غير راغب فيها ، لمجرد الضرر و الاعتداء ، أو يكون متزوجاً بأكثر من واحدة ثلا يعدل في ميله لهن ﴿ ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ﴾ (6) ، ﴿ فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمُعلقة ﴾ (7) .

(ز) على كلا الزوجين أن يحفظ غيب صاحبه ، وألا يفشى شيئاً من أسراره وألا يكشف عما قد يكون به من نقص خلقي وخُلقى ويتأكد هذا الحق عند الطلاق وبعده ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ (8) .

---

(1) سورة النساء آية رقم (٣٤)
(2) سورة الطلاق آية رقم (٦)
(3) سورة الطلاق آية رقم (٦)
(4) سورة البقرة آية رقم (٢٢٩)
(5) سورة النساء آية رقم (١٢)
(6) سورة البقرة آية رقم (٢٣١)
(7) سورة النساء آية رقم (١٢٩)
(8) سورة البقرة آية رقم (٢٣٧)

١٥- حق التربية والتعليم .

إذا كان البر والإحسان في المعاملة حق الآباء على الأولاد فإن التربية الصالحة حق الأولاد على الآباء ولكل إنسان – ذكراً كان أو أنثى – الحق في أن يتعلم . وطلب العلم واجب على الجميع ، بل إن " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة " [رواه ابن ماجة] . كما أن التعليم حق لغير المتعلم على المتعلم " ليبلغ الشاهد الغائب " [من خطبة النبى – صلى الله عليه وسلم – فى حجة الوداع] .

وعلى المجتمع أن يتيح فرصة التعلم والاستنارة لكل إنسان ، ولكل إنسان أن يختار ما يتوافق مع مواهبه وقدراته الذاتية " كل ميسر لما خلق له "[رواه الشيخان وأبو داود والترمذى] .

١٦- حق الإنسان في حماية خصوصياته

إن سرائر البشر لا يطلع عليها إلا الله وحده " أفلا شققت عن قلبه " [رواه مسلم] وخصوصيات الناس حمي لا يحل التجسس عليه ﴿ ولا تتجسسوا[1] " يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه : لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراقم ، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله" [رواه أبو داود والترمذى] .

١٧ – حق حرية الارتحال والإقامة

من حق كل إنسان أن ينتقل من مكان إقامته ويرجع إليه ، كما أن له أن يرحل ويهاجر من موطنه ثم يعود إليه ، من غير تضييق عليه أو تعويق له ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه [2]﴾، ﴿ ألم تكن أرض الله

(١) سورة الحجرات آية رقم (١٢)

(٢) سورة الملك آية رقم (١٥)

وسعة فتهاجروا فيها ﴾ [1] وفي الوقت نفسه لا يجوز إجبار شخص على ترك موطنه ، ولا إبعاده عنه من غير سبب شرعي ﴿يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به و المسجد الحرام و إخراج أهله منه أكبر عند الله ﴾[2]

عناية الإسلام بحقوق الإنسان أثناء الحرب

لقد عرف الإسلام الحرب شرا واقعا بين الناس فأحاطها بأدب عام من تعيين غرضها ، وحصرها في دفع العدوان وحماية حرية العقيدة وإنهائها بالعهود المصونة العادلة و أحاطها – أيضا – بآداب خاصة في أثناء الحرب نفسها وفيما يجب أن يكون بين المتحاربين من عرف يرعونه .

ومن هذه الآداب الخاصة ما يلي :

١-إنذار العدو بالحرب

فمتى وقع بين المسلمين وغيرهم ما يستوجب الحرب ، وجب على المسلمين أن ينذروا عدوهم بنيتهم ويعلنوه بالحرب ، ويمهلوه للرد و التفاهم إن أراد فالإسلام لا يعرف الغدر و الخيانة حيث يقول جل شأنه: ﴿و إما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخآئنين ﴾ [3] وقد قال بعض الفقهاء: إن المهلة التي تعقب ما يسمي اليوم بالإنذار النهائي يجب أن تكون كافية ليخبر العدو بها أطراف أهله ودولته وهو أدب يتفق مع القانون الدولي الحديث وإذا كان هناك عهد بين المسلمين وغيرهم، ثم ظهرت علامات تدل على أن العدو يريد خيانة للمسلمين ويستعد للهجوم عليهم ،

---

(١) سورة النساء آية رقم (٩٧)

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢١٧)

(٣) سورة الأنفال آية رقم (٥٨)

فإنه يجوز لهم أن يلغوا هذا العهد الذي كان بينهم وبين هذا العدو ، غير أنه لابد — أيضا — من إعلانه بهذا الإلغاء حيث لا يجوز أن يهاجموه و يأخذوه على غرة [1] .

٢ –حماية حقوق المستأمن

و الإسلام بعد أن ينذر العدو بالحرب ، وبعد أن تنقطع الحجة لا يلجأ إلى مثل ما تلجأ إليه الدول في العصر الحديث من مفاجأة المستأمنين المنتسبين للعدو في ديارها رعايا الدولة أو الجماعة التي أعلنت الحرب ، فالمستأمن — في الإسلام — حقوق لا يمكن العدوان عليها بمجرد وقوع الحرب بين قومه والقوم الذين يترل ديارهم أو يـقع من متناول سلطانهم، فلا يجوز الاعتداء عليه بمصادرة ماله أو الإضرار بعمله أو شخصه ، وله كفالة كل ذلك حتى تهيأ له العودة إلى وطنه الأصلي ويدخل في حماية قومه وفي هذه الحالة يجرى عليه ما يجرى على المحاربين قال سبحانه : ﴿ و إن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلم الله ثم أبلغه مأمنه ﴾ [التوبة : آية ٦] . .

لقد بلغ من حرص المسلمين على احترام حق المقيم في ديارهم و النازل بها عن رضا منهم قبل الحرب أو حتى أثناء الحرب ، أن قرر فقهاؤهم أنه يجب على الأمام إذا وقت للمستأمن مدة ألا يجعل هذه المدة قليلة كالشهر أو الشهرين ، فإن في ذلك إلحاق العسر به خصوصا إذا كانت له معاملات تحتاج إلى زمن طويل في اقتضائها .

وقد بلغ من أنصافهم هذا الأجنبي المقيم في ديارهم ، والذي يقاتلون أهله و دولته، أن أباحوا له التمتع بكامل حريته ، كأن لم تكن بينهم وبين أهله حرب ، مادام خاضعا لأحكامهم ، مستقيما في سيره وعمله ولم يركن إلى أذاهم بحال من الأحوال أقام الإسلام هذا الأدب مع المستأمن في حالة الحرب على أساس العدل والإنصاف، .ما الحرب في جملتها إلا نتائج مباشرة لفقدان العدل و الإنصاف بين الناس .

---

١) عبد الرحمن عزام الرسالة الخالدة ص ١٠٧ .

٣-مسالمة غير المحاربين

إذا كان الإسلام قد أباح الحرب كضرورة من الضرورات الاجتماعية فإنه يجعلها مقدرة بقدرها ، فلا يقتل ألا من يقاتل في المعركة ، وأما من تجنب الحرب فلا يحل قتله أو التعرض له بحال من الأحوال فمن القواعد الأساسية التي بنى عليها أدب الحرب في الإسلام ذلك المبدأ السامي ، وهو الامتناع عن محاربة غير المحاربين وقصدهم بالأذى ، فهو لا يجيز قتل الشيخ أو الصبي أو المرأة أو العجزة ، أو العامة من الصناع و التجار و الزراع الذين لا يقاتلون أو العباد و الرهبان والأجراء ، أو بعبارة أعم تلك الطبقات التي يطلق عليها أسم (المدنيين) هؤلاء المدنيون لا يجوز قتلهم ، وقد بلغ من حرص الإسلام على تجنيبهم ويلات الحرب و إبعاد شرها عنهم ، وحصر الضرر في القوات المقاتلة أن الفقهاء قالوا بوقف القتال إذا وقع بين صفوف المقاتلين من لا يجوز قتله وكان هلاكه محققا بالاستمرار في القتال .

إن القرآن الكريم ووصايا النبي – صلى الله عليه وسلم – و الخلفاء الراشدين في تحريم قتل غير المحاربين لتؤكد هذا الأدب العظيم للحرب في الإسلام .

فقد روي عن أنس – رضى الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " انطلقوا باسم الله ، وبالله ، وعلى مله رسول الله ، ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ، ولا امرأة ، ولا تغلوا ، وضموا غنائمكم ، وأصلحوا و احسنوا إن الله يحب المحسنين " [رواه أبو داود] وقد أوصى أبو بكر – رضى الله عنه – أسامة حين بعثه الى الشام بقوله : " لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاه ، ولا بقرة ، ولا بعيرا ، إلا لمأكله ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع (يريد الرهبان) فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له".

وكذلك كان يفعل عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فقد أوصى بقو-

" لا تغلوا ولا تغدروا ، ولا تقتلوا وليدا ، واتقوا الله في الفلاحين " وكان من وصاياه لأمراء جنوده : " ولا تقتلوا هرماً ولا امرأة ، ولا وليداً وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان ، وعند شن الغارات "ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (وأما من لم يكن من أهل الممانعة و المقاتلة ، كالنساء و الصبيان ، و الراهب و الشيخ الكبير ، والأعمى ، و الزمن ونحوهم فلا يقتل عند جمهور العلماء ، إلا أن يقاتل بقوله أو فعله) .

٤ – عدم القسوة عند التمكن من العدو

ليس المقصود من الحرب في الإسلام التنكيل و التخريب ، بل أن تكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الله لا تكون إلا حقا وعدلا و إنصافا شاملا للناس جميعا ولهذا جعل من آداب الحرب مبدأ الرفق و الرحمة ، فلا يجوز التمثيل بالمقتولين ولا الإجهاز على الجرحى ولا تتبع الفار من الحرب ولا قتل الحيوان ولا تخريب العمار، ولا إفساد الزروع و الأشجار ولا تلويث المياه ولا هدم البيوت ، وذلك لأن الحرب كعملية جراحية لا يجب أن تتجاوز موضع المرض بمكان .

٥–الإحسان إلى الأسرى

من أدب الحرب في الإسلام الإحسان إلى الأسير حتى إنه جعل من المستحقين للبر ، متساويا في ذلك مع أيتام المسلمين و فقرائهم قال تعالى: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا و يتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ﴾[١]

ومن الإحسان إلى الأسير أن لا يفرق في الأسر بين والد و ولده ولا بين أخ و أخيه، ولا أن يقتل أسير ، و أن يعامل معاملة طيبة .

---

(١) سورة الانسان آية رقم (٨)

حقوق غير المسلمين

في

بلاد الإسلام

١- عن كتاب الحقوق في الإسلام لـ محمد محمود عبد الله المؤلف .

حقوق غير المسلمين في أوطان المسلمين

أسس العلاقات – قواعد المعاملات

لقد أرسى رسول الإنسانية جمعاء ، نبي الرحمة ، سيدنا محمد ﷺ أسس العلاقات وقواعد وضوابط حدود المعاملات بين المسلمين وغيرهم من أصحاب العقائد والديانات الأخرى الذين يعيشون جنباً إلى جنب مع المسلمين فى أوطان الإسلام .

نجد أربعة أسس هى نبراس المنهج وهداية الطريق ، وهى حدود العلاقات وبيان الواجبات فى الحقوق والمعاملات ، وهى :–

١–صحيفة المدينة : وهى أول توجيه ارسل به النبى ﷺ إلى اهل المدينة بعد الهجرة، بين فيها دعائم العلاقات ، وكيفية الحقوق فى المعاملات والواجبات .

٢–كتاب النبى ﷺ لأهل نجران .

٣–خطبة الوداع : وما اشتملت عليه من وصايا وإرشادات نبوية حكيمة .

٤–كتاب الفاروق عمر بن الخطاب لغير المسلمين فى بيت المقدس .

صحيفة المدينة

كانت صحيفة المدينة أول توجيه يصدره النبي ﷺ بعد الهجرة لأهل المدينة، وضح فيه دعائم الأخوة التي تقوم بينهم في مجتمعهم الجديد ، وأنهم أمة واحدة أقر فيه اليهود على دينهم وأموالهم وعاهدهم على الحماية والنصرة وما أخلصوا للدولة الجديدة .

فقد كتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم .

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن يتبعهم فلحق بهم وجاهد معهم إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم [1] يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم [2] بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم[3] الأولى كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين : وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو جسم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين ولنجران وحاشيتها [4] ذمة الله وذمة رسوله على دمائهم وأموالهم وملتهم وبيعهم ورهبانيتهم وأساقفتهم وشاهدهم وغائبهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير وعلى أن لا يغيروا أسقفاً من سقيفاه ولا واقها من وقيهاه [5] ولا راهباً من رهبانيته وعلى أن لا يحشروا ولا يعشروا [6] ، ولا يطأ أرضهم جيش ، ومن سأل منهم حقاً فالنصف بينهم بنجران، على ألا يأكلوا الربا فمن اكل الربا من ذى قبل فذمتى منه بريئة وعليهم

---

(1) الربعة : الحال التى جاء الإسلام وهم عليها .

(2) العانى : الأسير

(3) المعاقل : الديات ، الواحدة معلقة

(4) يعنى ما يتبعها من القرى والدساكور

(5) قال ابن الآثير : هكذا يروى بالقاف وإنما هو بالفاء ، والواقه القيم على البيت الذى فيه صليب النصارى.

(6) يحشروا يعنى يجلوا من أرضهم ، ويشعروا بمعنى تؤخذ منهم العشور

الجهد والنصح فيما استقبلوا غير مظلومين ولا معنوف عليهم [٧] ، شهد بذلك عثمان بن عفان ومعيقب وكتب[١] ، ولقد حذا الخلفاء الراشدون والحكماء المسلمون حذو رسول الله ﷺ فى معاملة غير المسلمين .

فقد جاء بعد وفد نجران إلى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فكتب لهم:-

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب به عبد الله أبو بكر خليفة محمد النبى ﷺ لأهل نجران أجارهم بجوار الله وذمة محمد النبى ﷺ على أنفسهم وأرضهم وملتهم وأموالهم وحاشيتهم وعبادتهم وغائبهم وشاهدهم وأساقفتهم ورهبانهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير لا يخسرون ولا يعسرون ولا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته وفاء لهم لكل ما المؤمنين وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النبت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤنين ، وأن المؤمنين لا يتركون مفرحاً[٢] بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل .

قال ابن هشام : المفرح المثقل بالدين والكثير العيال .

قال الشاعر :

إذا أنت لم تبرح تؤدى أمانة ... وتحمل أخرى أفرحتك الودائع

---

(٧) انظر إلى تلك الوثيقة التى تفيض عدلاً ورحمة وليس فيها عنف بقوم آثروا عبادة الصليب على عبادة الله عز وجل .

(١) كتاب الأموال للحافظ ابن سلام ، ص١٨٢ ، ط مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٤٠١هـ ١٩٨١م

(٢) ويروى : "مفرجاً" وهو بمعنى المفرح بالحاء المهملة .

وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دوسيعة[1] ظلم ، أو إثم أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمناً فى كافر .

ولا ينصر كافراً على مؤمن وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس ، وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ، وإن سالم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا عن سواء وعدل بينهم ، وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً ، وأن المؤمنين يبيئ[2] بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله ، وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه وأنه لا يجير مشرك ما لا لقرشي ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن وأنه من اعتبط[3] مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولى المقتول وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه ، وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه ، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شئ فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوقع[4] إلا نفسه وأهل بيته وأن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف ،

---

(١) الدوسيعة : العظيمة ، وهى فى الأصل : ما يخرج من حلق البعير إذا رغا وأراد بها هاهنا ما ينال منهم من ظلم.

(٢) يبيئ : تتكافأ دمائهم .

(٣) اعتبط : أى قتله بلا جناية منه توجب قتله .

(٤) يوقع : يهلك .

وأن ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهله وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ، وأن لبنى الشطيبة مثل ما ليهود بنى عوف وأن البر دون الإثم وأن موالى ثعلبة كأنفسهم ، وإن بطانة[1] يهود كأنفسهم وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ، وأنه لا ينحجز على ثار جرح وأنه من فتك فتينة فتك وأهل بيته إلا من ظلم وأن الله على أبر هذا[2] وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم.

وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم ، وأن لم يأثم أمرؤ بحليفة ، وأن النصر للمظلوم ، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها ، وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساؤه فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله ﷺ، وأن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره[3] ، وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب فى الدين على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم وأن يهود الأوس ، مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض ؟ من أهل هذه الصحيفة . [4]

---

(١) بطانة الرجل : خاصته وأهل بيته .

(٢) على أبر هذا : أى على الرضا به .

(٣) أى أنا لله وحزبه المؤمنين على الرضا به .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام القسم الأول من ص ٥٠١ – ٥٠٤ ط آشور للطباعة والنشر .

يقول الدكتور مصطفى السباعى :

هذه الصحيفة بينت دعائم المجتمع الجديد وأقر فيها النبى ﷺ اليهود على دينهم وأموالهم وعاهدهم عل الحماية والنصرة وقد تضمنت المبادئ الآتية :-

*وحدة الأمة من غير تفرقة بين أبنائها .

*تساوى أبناء الأمة جميعاً فى الحقوق والكرامة يجير أدناهم على أعلاهم .

*تكاتف الأمة كلها دون الظلم والإثم والعدوان والفساد كائناً من كان الظالم والمفسد.

*اشتراك الأمة فى تقرير العلاقات مع أعدائها لا يسالم مؤمن دون مؤمن .

*تاسيس المجتمع على أحسن النظم وأهداها وأقواها .

*مكافحة الخارجين على الدولة ونظامها العام ووجوب الامتناع عن نصرهم .

*حماية من أراد العيش مع المسلمين مسالماً متعاوناً ، والامتناع عن ظلمهم والبغى عليهم .

*لغير المسلمين دينهم وأموالهم لا يجبرون على يدن المسلمين ولا تؤخذ منهم أموالهم.

*على غير المسلمين – فى الدولة الإسلامية – أن يتعاونوا معهم لدرء الخطر على كيان الدولة ضد كل عدوان ، وعليهم أن يشتركوا فى نفقات القتال ماداموا محاربين .

*على الدولة أن تنصر من يظلم منهم كما تنصر كل مسلم يعتدى عليه .

*على المسلمين وغيرهم أن يمتنعوا عن حماية أعداء الدولة ومن يناصرهم .

*إذا كانت مصلحة الأمة فى الصلح وجب على جميع أبنائهم – مسلمين وغير مسلمين – أن يتقبلوا الصلح .

*لا يؤاخذ إنسان بذنب غيره ولا يجنى جان إلا على نفسه .

*حرية الانتقال فى داخل الدولة وإلى خارجها مصونة بحماية الدولة ، ولا حماية لآثم ولا لظالم .

*المجتمع يقوم على أساس التعاون على البر والتقوى لا على الآثم والعدوان .

هذه المبادئ تحميها قوتان :

قــوة معنويــة : وهى إيمان الشعب بالله ومراقبته له ، ورعاية الله لمن بر ووفى

قوة مادية : وهى رئاسة الدولة التى يمثلها محمد ﷺ .

ثم أخذ رسول الله ﷺ فى تنفيذ هذه المعاهدة فوثق الصلة بين غــير المــسلمين والمسلمين .. وفى وسط رمال الجزيرة العربية عاشت فى الدنيا لأول مرة عاصمة دولة لا تعرف الحقد ولا الاستئثار ولا البغى ولا الفجور ولا القسوة ولا موت الضمير.[1]

كتاب الرسول ﷺ لأهل نجران

الرسول ﷺ يصالح أهل نجران على شروط اشترطها عليهم واشترطوها هم لأنفسهم وكتب لهم بذلك هذا الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب محمد النبى رسول الله ﷺ لأهل نجران إذا كان له حكمه عليهم : إن فى كل سوداء وبيضاء وحمراء وصفراء وثمرة ورقيق وأفضل عليهم[2] وترك ذلك لهم : ألفى حلة ، وفى كل رجب ألف حلة ، كل حلة أوقية مــا زاد الخراج أو نقص فعلى الأواقى فليحسب وما قضوا من ركاب أو خيــل أو دروع أخذ منهم بحساب[3] وعلى أهل نجران مقرى رسلى[4] عشرين ليلة فما دونها وعليهم عارية ثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً وثلاثين درعاً إذا كان كيداً باليمن ذو مغدرة[5] ، وما هلك مما أعاروا رسلى فهو ضامن على رسلى حتى يؤدوه إليهم.

---

(١) اشتراكية الإسلام للدكتور مصطفى السباعى ص ٣١٢ – ٣١٤ط الشعب ١٣٨١هــ ١٩٦٢ بتصرف

(٢) يعنى تفضل ومن عليهم بترك أموالهم بعد أن كان الحكم له عليهم .

(٣) يعنى إذا قضوا ما عليهم من خراج من هذه الأشياء المذكورة تؤخذ منهم بحسابها .

(٤) أى ضيافتهم وقراهم .

(٥) يعنى إذا حصل غدر من أهل اليمن واحتاج المسلمون أن يستعيروا منهم هذه الأشياء للحرب فعليهم أن يعيروهم إياها ثم ترد إليهم بعد الحرب وإذا تلف منها شئ ضمنه المسلمون.

كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه لغير المسلمين فى بيت المقدس

كان من شأن الفاروق رضى الله عنه مع من صالحوه وعاهدوه أن يفى بعهدهم ويخلص فى الوفاء به إخلاص من يطالب نفسه به قبل أن يطالبوه ، ومن يراقب نفسه فيه قبل أن يراقبوه ، يتجلى ذلك واضحاً فى الأمان والعهد الذى أعطاه لغير المسلمين فى بيت المقدس :

كتب للنصارى فى بيت المقدس أماناً على أنفسهم وأولادهم ونسائهم وأموالهم وجميع كنائسهم لا تهدم ولا تسكن وحان وقت الصلاة وهو جالس فى صحن كنيسة القيامة فخرج وصلى خارج الكنيسة على الدرجة التى على بابها بمفرده ، قال للبطرك: لو صليت داخل الكنيسة لأخذها المسلمون من بعدى وقالوا : هنا صلى عمر ثم كتب كتاباً يوصى به المسلمين ألا يصلى أحد منهم على الدرجة إلا واحداً واحداً غير مجتمعين للصلاة فيها ولا مؤذنين عليها .

أما عهده لهم فقد كان مثالاً من السماحة والمروءة لا يطمع فيه طامع من أهل حضارة من حضارات التاريخ كائنة ما كانت فكتب لهم العهد الذى قال فيه : "...... هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم سقيماً وبريئها وسائر ملتها : إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من شئ من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وأن يخرجوا منها الروم

واللصوت[1] فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية .

ذومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروح ويخلى بيعهم وصلبهم [2] فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم .. وليس لذى عهد من ظافر أن يطمع فى أمان أكرم من هذا الأمان .

وإنه لقد كان يعطيهم عليه وعلى قومه هذه العهود ثم لا يقنع بها حتى يشفعها بالوصاة للولاة أن يمنعوا المسلمين من ظلم أهل الذمة ، وأن يوفى لهم بعهدهم وينضح[3] عنهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم .[4]

وعلى ضوء المنهج الإسلامي القويم ، الذى أرسى قواعده الرسول الكريم ﷺ ووضع ضوابط حدوده بدقة فى مقتضى العدل والحكمة فى احترام الإنسان وقدسية كرامتا وحرمة ماله ودمه ، مهما اختلفت العقائد والأديان ، وكذا من سار على نهجه ﷺ كالفاروق عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليه ورحمته ، نتبين أن أسس العلاقات تبنى على أن غير المسلمين فى وطن الإسلام ، لهم مالنا وعليهم ما علينا ، وأن قواعد المعاملات ، تبنى على أن الدين لله تعالى ، والوطن لجميع أبنائه دون تفريق أو تمييز فى الحقوق والواجبات والمعاملات تحت قاعدة [لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى] . ومن الحقوق التى كلفها الإسلام الحنيف لغير المسلمين الذين يعيشون فى

---

(١) اللصوت : أى اللصوص ، مفرده لصت .

(٢) البيع : جمع بيعه وهى معبد النصارى ، والصلب : جمع صليب .

(٣) ينضح عنهم : يدافع عنهم .

(٤) عبقرية عمر لعباس محمود العقاد ، ص ١١٩ ، ١٢٠ ط الجهاز المركزى للكتب الجامعية سنة ١٣٩٩ هـ ، ١٩١٩م.

أوطان الإسلام ، ورعاها بعناية وحزم وقدسية دون ما تفريط أو تهاون مع من يعبث بواحدة منها ، ما يلى :

١–حق الحياة ٢–حق الأمن

٣–حق الجوار ٤–حق العمل

٥–حق التعلم والتعليم ٦–حق العمل

٧–حق الرعاية الاجتماعية

هذه أسس إسلامية ستة أقرها الإسلام وحرص عليها ، وسنورد لكل واحد منها فصلاً بالشرح والبيان بإذن الله تعالى ، وإليك بيانها :–

أولاً : حق الحياة

إن الله سبحانه وتعالى كرم الإنسان على سائر مخلوقاته بأن خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته فالإنسان هو صنعه الرب سبحانه وتسويته بيديه وفيه أودع سره الكبير وهو نسمة الروح تلكم النفخة الربانية التي كلما تكون جنيناً في بطن أمه سارت له نسمة جزئية من تلكم النسمة الكبرى التي لم تتكرر وحتى يرث الحق الأرض ومن عليها وصدق الله إذ يقول (فإذا سويته ونفخت له من روحي وقعوا له ساجدين) وبفضله سبحانه سخر له ما في السموات وما في الأرض ، وجعله خليفة عنه . وزوده بالقوى والمواهب ليسود الأرض وليصل إلى أقصى ما قدر له من كمال مادي وارتقاء روحي . ولا يمكن أن يحقق الإنسان أهدافه ويبلغ غاياته إلا إذا توافرت له جميع عناصر النمو وأخذ حقوقه كاملة وفى طليعة هذه الحقوق حق الحياة وهذا الحق واجب للإنسان من حيث هو إنسان بقطع النظر عن لونه أو دينه أو جنسه أو مركزه الاجتماعي .[1]

---

(١) فقه السنة للشيخ السيد سابق جـ٢ ؛ ص ٥٠٧ ط دار الكتاب العربي سنة ١٤٠٤هـ– ١٩٨٤ م

والشريعة الإسلامية كفلت للناس جميعا حق الحياة الحرة الكريمة بحكم تساويهم في النشأة الأولى قال جل وعلا : [وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر فمستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون].[1]

وقال جل شأنه : [يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً ...][2]

فالناس جميعاً من أصل واحد وهم جميعاً إخوة فى الإنسانية والله تعالى هو الذى وهبهم الحياة منذ نشأتهم الأولى.[3]

والحياة منحة من الله تبارك وتعالى للإنسان ، لا يملك أحد انتزاعها بغير إرادة الله عز وجل دل على ذلك قوله سبحانه : [إنا نحن نحيى ونميت وإلينا المصير] .[4]

والعدوان على حياة فرد بدون حق عدوان على المجتمع كله ، والقصاص من الجانى المعتدى إحياء للمجتمع كله لقول الحق عز شأنه :

(... أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ..)[5]

وقد أعطت الشريعة الإسلامية حق انتزاع الحياة من الأفراد للدولة وفقاً لمصلحة المجتمع وحماية لحياة الأفراد[6] وفى ذلك يقول القرآن الكريم : [ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون][7]

---

(١) سورة الأنعام آية ٩٨ .

(٢) سورة النساء آية ١ .

(٣) صفوة التفاسير لمحمد على الصابونى ، جـ ١ ص ٢٤٣ .

(٤) سورة ق ، آية ٤٣ .

(٥) سورة المائدة ، آية ٣٢

(٦) اشتراكية الإسلام للدكتور مصطفى السباعى ، ص ٥٥ .

(٧) سورة البقرة آية ١٧٩ .

وهذه العقوبة مقررة فى جميع الشرائع الإلهية المتقدمة ففى الشريعة الموسوية جاء بالفصل الحادى والعشرين من سفر الخروج : " أن من ضرب إنساناً فمات فليقتل قتلاً وإذا بغى رجل على آخر فقتله اغتيالاً فمن قدام مذبحى تأخذه ليقتل ، وإن حصلت إذية فاعط نفساً بنفس وعيناً بعين وسناً بسن ويداً بيد ورجلاً برجل وجرحاً بجرح ورضاً برضا " .

وفى الشريعة المسيحية يرى البعض أن قتل القاتل لم يكن من مبادئها مستدلين على ذلك بما ورد فى الإصحاح الخامس من إنجيل متى يقول عيسى عليه السلام : " ولا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له خدك الآخر أيضاً ومن رأى أن يخصامك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً ومن سخرك ميلاً واحداً فإذهب معه اثنين " . ويرى البعض الآخر أن الشريعة المسيحية عرفت عقوبة الإعدام مستدلاً على ذلك بم قاله عيسى عليه السلام :

" ما جئت لأنقض الناموس وإنما جئت لأتمم .

وقد تأيد هذا بما ورد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى :

(مصدقاً لما بين يدى من التوراة ...)[1]

وإلى هذا تشير الآية الكريمة : (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ..)[2]

ولم تفرق الشريعة بين نفس ونفس فالقصاص حق سواء أكان المقتول كبيراً أم صغيراً رجلاً أم إمراة فلكل حق الحياة ولا يحل التعرض لحياته بما يفسدها بأى وجه من الوجوه .[3]

---

(١) سورة الصف ، آية ٦ .

(٢) سورة المائدة ، آية ٤٥ .

(٣) فقه السنة للشيخ السيد سابق جـ ٢ ص ٥١١ ، ٥١٢ ط .

ولقد نظر الإسلام نظرة خاصة إلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى سواء أكانوا فى دار الإسلام أم خارجها فقد اباح مؤاكلة أهل الكتاب وتناول ذبائحهم قال تعالى : [وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم..][1]

هذه فى أهل الكتاب عامة أما النصارى منهم خاصة فقد وضعهم القرآن الكريم موضعاً قريباً من قلوب المسلمين فقال جل شأنه :

(ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصرى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون)[2]

والإسلام يوصى بأهل الكتاب خيراً أينما كانوا ، غير أن المقيمين فى ظل دولة الإسلام منهم لهم وضع خاص، وهم الذين يسمون فى إصطلاح المسلمين باسم أهل الذمة معناها العهد ، وهى كلمة توحى لأن لهم عهد الله وعهد رسوله وعهد جماعة المسلمين وأن يعيشوا فى ظل الإسلام آمنين مطمئنين ، وهؤلاء مواطنون فى دولة الإسلامية ، فقد أجمع المسلمون منذ العصر الأول إلى اليوم على أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم إلا ما هو من شئون الدين والعقيدة فإن الإسلام يتركهم وما يدينون، وقد شدد النبى ﷺ فى الوصية بأهل الذمة وتوعد كل مخالف لهذه الوصايا بسخط الله وعذابه يؤيد هذا ما رواه الخطيب فى التاريخ يسند حسن عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من آذى ذمياً فأنا خصمه ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة " .[3]

---

(١) سورة المائدة ، آية ٨٢

(٢) سورة المائدة آية ٨٢

(٣) الجامع الصغير فى شرح أحاديث البشير النذير للسيوطى جـ ٢ ، ص ٥٤٧ ، ط دار الفكر

وروى الإمام البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر وبن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) قال : " من قتل معاهداً – ممن له عهد مع المسلمين – لم يرح رائحة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً " .[1]

وروى الإمام النسائى بسنده عن رجل من أصحاب النبى (ص) أن رسول الله (ﷺ) قال : " من قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاماً " سكت عنه السيوطى .[2]

وروى الحافظ الهيثمى بسنده عن رجل عن النبى (ص) أنه قال : " سيكون قوم لهم عهد فمن قتل رجلاً منهم لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة تسعين عاماً " حديث صحيح.[3]

وقد جرى الخلفاء الراشدون على رعاية حق الحياة لهؤلاء ، يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى كتاب له إلى عمرو ابن العاص أثناء ولايته على مصر : "إن معك أهل الذمة والعهد فاحذر يا عمرو أن يكون رسول الله خصمك "[4] وقد أكد الفقهاء على اختلاف مذاهبهم هذا الحق . فقال شهاب الدين القرافى الفقيه المالكى " إن عقد الذمة يوجب حقوقاً علينا لأنهم فى جوارنا وفى حفازتنا وذمتنا وذمة الله تعالى وذمة رسول الله (ﷺ) ، ودين الإسلام فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة فى عرض أحدهم أو أى نوع من أنواع الأذية أو أعان على ذلك فقد ضيع ذمة الله وذمة رسوله (ﷺ) وذمة الإسلام وقال ابن حزم الظاهرى إن من كان فى الذمة

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى للحافظ ابن حجر ١٥ ص ٢٨٤ ط مصطفى البابى الحلبى

(٢) سنن النسائى بشرح الحافظ السيوطى ، جـ ٢ ص ٢٥ ، ط مصطفى محمد

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للحافظ الهيثمى جـ ١٦ ص ٢٩٣ ط القدسى ١٣٥٣.

(٤) المساواة فى الإسلام للدكتور على عبد الواحد وافى ، ص ٨٥ ط ، دار المعارف

وجاء أهل إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالسلاح ونموت دون ذلك صوناً لمن هو فى ذمة الله ورسوله (ﷺ)، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة .[1]

ولقد أتى برجل من المسلمين قتل رجلاً من أهل الذمة فقامت عليه البينة فأمر على بقتله فجاء أخوه فقال : إنى قد عفوت فقال : فلعلهم هددوك وفرقوك قال : لا ولكن قتله لا يرد على أخى وعوضوا لى ورضيت قال : أنت أعلم من كانت له ذمتنا فدمه كدمنا وديته كديتنا . وفى رواية أنه قال : إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا .

وقد صح أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه كتب إلى بعض أمرائه فى مسلم قتل ذمياً فأمره أن يدفعه إلى وليه فإن شاء قتله وإن شاء عفا عنه فدفع إليه فضرب عنقه .[2]

ثانياً : حق الأمن

من عظيم ما شرعه الإسلام الحنيف فى سمو رفعة تشريعه الإلهى هو قدسية حياة الفرد والحرص على سلامته وعدم ترويعه فجعل القصاص عقوبة زجرية رادعه لكل من تسول له نفسه الاعتداء على حياة الآخرين : فقال عز ثناؤه (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب) كما جعل الأمن حق مقدس لجميع أبناء الوطن مسلمين وغير مسلمين بغض النظر عن ما يعتنقه الأفراد من الديانات لأن الأصل في الإسلام قدسية الإنسان وحرمة دمه واحترام آدميته .

---

(١) الحلال والحرام للدكتور يوسف القرضاوى ، ص ٢٧٩-٢٨١ بتصرف ط دار التراث العربى الرابعة عشرة سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

(٢) غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى للدكتور يوسف القرضاوى ص ١٣ . ط ، دار غريب الطبعة الأولى سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٧٧ م

وإذا طلب الأمان أي فرد من الأعداء المحاربين قبل منه ، وصار بذلك آمناً، ولا يجوز الاعتداء عليه بأي وجه من الوجوه يؤيد هذا ويوضحه قول الله سبحانه : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) .(٢)

وهذا الحق ثابت للرجال والنساء والأحرار والعبيد ، فمن حق أى فرد من هؤلاء أن يؤمن أى فرد من الأعداء يطلب الأمان ، ولا يمنع من هذا الحق أحد من المسلمين إلا الصبيان والمجانين . فإذا أمن صبى أو مجنون أحداً من الأعداء فإنه لا يصح أمان واحد منهما . (١)

ولهذا أمر الله سبحانه النبى الكريم (ﷺ) أن يستجيب لدعوة من يدعوه إلى طلب الأمان فى جواره ، وذلك حتى يسمع كلام الله ، أى حتى يسمع ما نزل على النبى من قرآن يقرر أصول الإسلام ، وأحكام شريعته . ثم إن لهذا المستأمن أن يطلب النظرة إلى الوقت الذى يسمح له بالنظر والتدبر فيما سمع من كلام الله ، وأن يجاب إلى هذا ، حتى ينقطع عذره وتقوم عليه الحجة .

فإن وجد فيما سمع ووعى من كلام الله ما يدعوه إلى الإيمان ثم آمن فهو من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم .

وإن أصم الله سمعه ، وأعمى بصره ، وحجب بصيرته ، فلم تنفذ شعاعات الهدى إلى قلبه ، وآثر الضلال على الإيمان ، واستحب العمى على الهدى ، فإن له ما اختار .

لا سلطان لأحد عليه ، ولا سبيل لأحد أن يناله بضر أو أذى فهو الآن فى ذمة النبى وذمة المؤمنين جميعاً ،وعلى النبى – صلوات الله وسلامه عليه – أن يضمن سلامته، وأن يكفل له الأمن والطمأنينة مادام فى رحاب المسلمين .. ثم إن أراد النبى أو

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٦ .

(٢) فقه السنة للشيخ السيد سابق ، جـ٢ ، ص ٦٩٤ بتصرف .

رغب هو فى أن يلحق بأهله ، أجيب إلى هذا ، ووكل به النبى من المسلمين من يقوم على حراسته ، وسلامته حتى يبلغ مأمنه أى المكان الذى يجد فيه الأمن بين أهله وعشيرته. [1]

ومهما تقرر الأمان بالعبارة أو الإشارة ، فإنه لا يجوز الاعتداء على المؤمن ، أنه بإعطاء الأمان له عصم نفسه من أن تزهق رقبته من أن تسترق .

روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنه بلغه أن بعض المجاهدين قال لمحارب من الفرس : " لا تخف ، ثم قتله " فكتب رضى الله عنه إلى قائد الجيش : أنه بلغنى أن رجالاً منكم يطلبون العلج حتى إذا اشتد فى الجبل وامتنع ، يقول له ، لا تخف، فإذا أدركه قتله ! وإنى والذى نفسى بيده لا يبلغنى أن أحداً فعل ذلك إلا قطعت عنقه .

وعن النبى صلى الله وعليه وسلم قال : (من أمن رجلاً على دمه فقتله فأنا برئ من القاتل وإن كان المقتول كافراً) . رواه البخارى فى التاريخ وسكت عنه السيوطى.[2] وقال صلى الله عليه وسلم (لكل غدر لواء يعرف به يوم القيامة)[3] متفق عليه .

ويتقرر حق الأمان بمجرد إعطائه ، ويعتبر نافذاً من وقت صدوره إلا أنه لا يقر نهائياً إلا بإقرار الحاكم أو قائد الجيش .

وإذا تقرر الأمان وأقر من الحاكم أو الجيش ، صار المؤمن من أهل الذمة ، وأصبح له ما للمسلمين وعليه ما عليهم .

---

(١) التفسير القرآنى للقرآن ، عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربى ، جـ١٠ ، ص ٧٠٥

(٢) جامع الأحاديث للجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير للسيوطى جـ٦ ص ١٢١.

(٣) زاد المسلم جـ٢ ص٥٢ فيما اتفق عليه البخارى ومسلم للشنقيطى مطبعة مصر سنة ١٩٥٥ .

ولا يجوز إلغاء أمانة إلا إذا ثبت أنه أراد أن يستغل هذا الحق فى إيقاع الضرر بالمسلمين : كأن يكون جاسوساً لقومه ، أو عيناً على المسلمين .

والرسول مثل المؤن ، سواء أكان يحمل الرسائل ، أو يمشى بين الفريقين المتقاتلين بالصلح ، أو يحاول وقف القتال لفترة يتيسر فيها نقل الجرحى والقتلى .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لرسولى مسيلمة : (لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما)[1] رواه الطبرانى فى الكبير .

وأوفدت قريش أبا رافع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوقع الإيمان فى قلبه ، فقال : يا رسول الله لا أرجع إليهم ، وأبقى معكم مسلماً ، فقال رسول الله (ﷺ) : " إنى لا أخيس بالعهد ، ولا أحبس البرد فارجع إليهم آمناً . فإن وجدت بعد ذلك فى قلبك ما فيه الآن ، فارجع إلينا " حديث صحيح رواه الإمام أحمد .[2]

وفى كتاب الخراج لأبى يوسف والسير الكبير : أنه إن اشترط للرسول شروط وجب على المسلمين ان يوفوا بها ، ولا يصح لهم أن يغدروا برسل العدو ، حتى ولو قتل الكفار رهائن المسلمين عندهم ، فلا تقتل رسلهم[3]

ثالثاً : حق الجوار

لقد اهتم القرآن العظيم والسنة المطهرة بحقوق الجار اهتماماً عظيماً ، فوضع حقوق الجار مع حق الله عز وجل وحق الوالدين ، كما أظهرت السنة النبوية الشريفة لنا أن جبريل عليه السلام مازال يوصى النبى (ﷺ) بحقوق الجار حتى ظن النبى (ﷺ) أن الله سبحان وتعالى سيجعل الجار وارثاً من شدة التأكيد على حقوقه.

---

(١) جامع الأحاديث للجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير للسيوطى جـ٥ ص ٤٠٢

(٢) الفتح الربانى لترتيب مسند الإمام أحمد الشيبانى جـ١٤ ص ١١٨الأولى سنة ١٣٥٨هـ

(٣) فقه السنة للشيخ السيد سابق جـ٢ صـ ٦٩٧ .

وانظر إلى طيب القول فى القرآن العظيم فيما قرره الحق تعالى ، من الوصايا الربانية فى حقوق الجار : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً) .[1]

فالجار ضرب من ضروب القرابة فهو قرب بالمكان والسكن وقد يأنس الإنسان بجاره القريب أكثر مما يأنس بالنسيب فيحسن أن يتعاون الجاران ويكون بينهما الرحمة والإحسان ، فإذا لم يحسن أحدهما إلى الآخر فلا خير فيهما لسائر الناس ، وقد حث الدين على الإحسان فى معاملة الجار . ولو غير مسلم وإكرام الجار من شيم العرب قبل الإسلام وزاده الإسلام توكيداً بما جاء فى الكتاب والسنة، ومن إكرامه إرسال الهدايا إليه ودعوته إلى الطعام وتعاهده بالزيارة والعيادة إلى نحو ذلك .[2]

وقال عوف الشامى : " الجار ذى القربى " المسلم . " والجار الجنب " اليهودى والنصرانى . وعلى هذا فالوصاية بالجار مأمور بها مندوب إليها مسلماً كان أو كافراً وهو الصحيح .[3]

وقال ابن أبى جمرة : حفظ الجار من كمال الإيمان ويحصل إمتثال الوصية بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة كالهدية والسلام وطلاقة الوجه عند لقائه ، وتفقد حاله ومعاونته فيما يحتاج إليه إلى غير ذلك وكف أسباب الأذى عنه حسية كانت أو معنوية على اختلاف أنواعه . حتى ظن النبى (ﷺ) وأنه " سيورثه " اى يأمر بتوريث الجار من جاره بأن يجعله مشاركاً فى المال مع الأقارب بسهم يعطاه مسلماً كان أو

---

(١) سورة النساء ، آية ٣٦ .

(٢) تفسير المراغى للأستاذ أحمد مصطفى المراغى جـ٥ ص ٣٦ ط مصطفى البابى الحلبى سنة ١٣٧٣ ، ت:١٩٥٣م

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ٥ص١٨٣،١٨٤ط دار الكتاب العربى سنة ١٣٨٧

كافراً عابداً أو فاسقاً صديقاً أو محايداً غريباً أو بلدياً ديم النفع أو نافعاً ، قريباً أو أجنبياً قريب الدار أو بعيدها ، ومن حق الجار أن يعلمه ما يحتاج إليه .

عن عائشة رضى الله عنها عن النبى (ﷺ) قال : " (مازال جبرئيل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)[1] حديث صحيح رواه البخارى فى الأدب المفرد .

من أنواع إكرام الجار :

إن إكرام الجار لا يقف عند نوع معين من أنواع الإكرام لأن هذه الأنواع تختلف باختلاف الجيران والمناسبات وحالة كل جار ، وما ينزل بالجار من أحداث الزمان . كما يختلف باختلاف المكرم من فقر وغنى ويسار وإعسار وقرابة وبعد ... إلخ . والجامع للإكرام أن ترجو لجارك الخير وتقدم له ما استطعت من معروف وأن تمنع عنه الأذى أياً كان نوعه ، مثل ما ترجوه لنفسك تماماً وهو أصل الإيمان وثمرة صحته .

قال مجاهد : كنت عند عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وغلام له يسلخ شاة ، فقال : يا غلام إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي حتى فال ذلك مراراً ، فقال له : لم تقول هذا ، قال : إن رسول الله (ﷺ) قال : (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) . حديث صحيح رواه البخاري في الأدب المفرد .

وقال الإمام الغزالي : وجملة حق الجار أن يبدأه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر السؤال عن حاله لأن ذلك قد يحرجه ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة ويقوم معه في العزاء ويهنئه في الفرح ويظهر المشاركة في السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يتطلع من السطح إلى عورته ولا يضايقه في وضع الجذع على داره ولا يصب الماء أمام داره ويستر ما ينكشف له من عيوبه وأخطائه .

---

(١) فضل الله الصمد فى توضيح الأدب المفرد للإمام البخارى للعلامة فضل الله الجيلانى جـ ١ ص ١٧٩ .

قال العلماء : الجيران ثلاثة : جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق .

فالجار الذي له ثلاثة حقوق : هو الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم ، وأما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام ، أما الذي له حق واحد فالجار المشرك وجاء في ذلك حديث لكنه ضعيف وعلى هذا فللجار الكافر مهما كان كفره حق الجوار في الإحسان إليه وترك إيذائه.

وقال ابن حجر في فتح الباري شرح البخاري : واسم الجار يشمل المسلم والكافر والعابد والفاسق والصديق والعدو والبلدي – والغريب والنافع والضار والقريب والأجنبي والأقرب داراً والأبعد وله مراتب بعضها أعلى من بعض فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأولى كلها ثم أكثرها " يأتي في المرتبة الثانية " ثم أقلها وهكذا .[1]

رابعاً : حق التمليك

لقد أقر الإسلام الحنيف حق الملكية الفردية وذلل أمام الفرد سبل التملك والحصول على المال ، ويعطى كل مجتهد جزاء اجتهاده من ثمرات الحياة الدنيا ويفسح المجال أمام المنافسة والعمل على التفوق وبذلك يحقق تكافؤ الفرص بين الناس من هذه الميادين .[2]

وحين يقرر الإسلام لكل إنسان حق التملك فى جو الحياة الحرة الكريمة ، يندفع الناس إلى العمل ليكسبوا ما به قوام حياهم ومعيشتهم لا يوصد باب العمل دون واحد منهم ولا تستأثر بخيرات الدنيا فئة منهم . لكل إنسان منهم بحسب طاقته وجهده

---

(١) السلوك الاجتماعى فى الإسلام للشيخ حسن ايوب صـ٢٨٢، ٢٨٣ ط الهدى الكويت .

(٢) المساواة فى الإسلام للدكتور / على عبد الواحد وافى ص ٧٦

وكفاءته يقول الحق تبارك وتعالى : (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى)[1] فإذا حاز شيئاً منها كانت هذه الحيازة حقاً لا ينازع فيه ولا يغلب عليه.[2]

واتفقت كلمة المذاهب الإسلامية على أن أولئك الذين لم يؤمنوا بالإسلام، وإنما صالحوا الدولة الإسلامية وعاشوا فى كنفها وظل قوانينها ، يجب على المسلمين أن يحترموا ما صالحوهم عليه فلا يلازمهم بأكثر منه .

قال أبو عبيد : إن السنة فى ارض الصلح أن لا يزاد على وظيفتها التى صولحوا عليها ، وإن قووا على أكثر من ذلك .

وفى زمن عمر رضى الله عنه فتح المسلمون أراضى كثيرة وكان لابد من تحديد وضع الأراضى المفتوحة : أتبقى فى يد أهلها ، أم تقسم عل الغانمين أم توقف على المسلمين جميعاً ؟

وقد اهتم عمر رضى الله عنه والمسلمون عامة بهذا الأمر ، وأخذوا يتدارسونه من كل زواياه فظهر لهم أن الأرض لو قسمت على الفاغين وهم الذين لم يقتدوا الزراعة والعناية بالأرض ، لابد أن يضعف إنتاجها وتقل مواردها وينشغل المقاتلون بالزراعة والعناية بالأرض ، يتركون الجهاد والدفاع عن البلاد .

لذلك كله كان رأى عمر رضى الله عنه إلا تقسم الأرض بين الغانمين . وقد ذكر أبو يوسف فى كتابه الخراج أن عمر بن الخطاب قد شاور المسلمين فى قسمة الأراضى التى أفاءها الله على المسلمين من ارض العراق والشام وعرض للحجج التى قدمها عمر ومن وافقه من الصحابة دعماً لرأيهم فى عدم قسمة هذه الأراضى على الغانمين ، ومما ذكر فى هذا الصدد : ... فكيف بمن يأتى من المسلمين فيجدون الأرض بعلوجها قد اقتسمت وورثت عن الآباء وحيزت ؟ ما هذا برأى .. فقال له عبد

---

(١) سورة النجم ، آية ٣٩

(٢) اشتراكية الإسلام للدكتور / مصطفى السباعى ص ١٢٩ .

الرحمن بن عوف رضي الله عنه : فما الرأى ؟ ما الأرض والعلوج[1] إلا مما أفاء الله عليهم . فقال عمر رضى الله عليهم . فقال عمر رضى الله عنه : ما هو إلا كما تقول ولست أرى ذلك ، والله لا يفتح بعدى بلد فيكون فيه كبير نبيل بل عسى أن يكون كلاً على المسلمين فإذا قسمت أرض العراق بعلوجها ، وأرض الشام بعلوجها فما يسد به الثغور ، وما يكون للذرية والأرامل بهذا البلد وبغيره من أرض الشام والعراق ؟ فأكثروا على عمر رضى الله تعالى عنه وقالوا : أتقف ما أفاء الله علينا بأسيافنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا ، ولأبناء القوم ولأبناء أبنائهم ولم يحضروا ؟ فكان عمر رضى الله عنه لا زيد على أن يقول : هذا رأآ .. قالوا : فاستشرق قال : فاستشار المهاجرين الأولين ، فاختلفوا .

فأما عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فكان رايه أن تقسم لهم حقوقهم .

ورأى عثمان وعلى وطلحة وابن عمر رضى الله عنهم رأى عمر .

فأرسل إلى عشرة من الأنصار ، خمسة من الأوس وخمسة من الخزرج ، من كبرائهم وأشرافهم .. فلما اجتمعوا حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال :

إنى لم أزعجكم إلا لأن تشتركوا فى أمانتى فيما حملت من أموركم ، فإنى واحد كأحدكم ، وأنتم اليوم تقرون بالحق ، خالفنى من خالفنى ، ووافقنى من وافقنى ، ولست أريد أن تتبعوا هذا الذى هو هواى ، معكم من الله كتاب ينطق بالحق فو الله لئن كنت نطقت بأمر أريده ما أريد به إلا الحق . قالوا: قل نسمع يا أمير المؤمنين، قال: قد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا أنى أظلمهم حقوقهم وإنى أعوذ بالله أن أركب ظلماً ،لئن كنت ظلمتهم شيئاً هو لهم وأعطيته غيرهم لقد شقيت.

---

(١) العلوج : أهل هذه الأرض من الكفار .

ولكن رأيت أنه يبق شئ يفتح بعد أرض كسرى، وقد غنمنا الله أموالهم وأرضهم وعلوجهم، فقسمت ما غنموا من أموال بين أهله وأخرجت الخمس فوجهته على وجه وأنا فى توجيهه، وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوجها وأضع عليهم فيها الخراج، وفى رقابهم الجزية يؤدونها فتكون فيئا للمسلمين. المقاتلة والذرية ولمن يأتى من بعدهم .. أرأيتم هذه الثغور ؟ لا بد لها من رجال يلزمونها ، هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر، لابد لها من أن تشحن بالجيوش وإدرار العطاء عليهم .. فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأرضون والعلوج ؟ فقالوا جميعاً : الرأى رأيك فنعم ما قلت وما رأيت ، إن لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال ونجرى عليهم ما يتقوون به رجع أهل الكفر إلى مدنهم.[1]

ولا يكتفى الإسلام بإقرار الملكية الفردية وتسير سبل الحصول عليها بل يحيطها كذلك بسياج قوى من الحماية كما تدل على ذلك الحدود والعقوبات الدنيوية والأخروية التى يقررها لمختلف أنواع الاعتداء على الملكية كالسرقة وقطع الطريق والغضب وتقل حدود الأرض. فيقرر الإسلام عقوبة قطع اليد فى السرقة ، قال تعالى: [والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم].[2] ولم يشدد الرسول عليه الصلاة والسلام فى تنفيذ حد مقدار تشدده فى تنفيذ حد السرقة فقد جاءه مرة أسامة بن زيد – وكان من أحب الناس إليه – يشفع فى فاطمة بنت الأود المخزومية وكان قد وجب عليها حد السرقة لسرقتها قطيفة وحلياً فأنكر الرسول (ﷺ) شفاعة أسامة على حبه له وانتهره قائلاً: " أتشفع فى حد من حدود الله" ؟ ثم قام فخطب الناس فقال : " إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا

---

(١) الملكية فى الشريعة الإسلامية للدكتور / عبد السلام داود العبادى القسم الأول ص ٢٧٤، ٢٩٠ ، ٢٩١ ط، الأقصى . عمان.

(٢) سورة المائدة ، آية ٣٨.

الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

وفى سبيل حماية الملكية الفردية يجيز الإسلام أن يدفع عن ملكه بكل وسائل الدفاع حتى لو ألجأه ذلك إلى قتل المعتدى وفى هذه الحالة لا قصاص عليه . بل إن الإسلام لينهى عن مجرد النظر بعين همة إلى ملكية الغير[1] وفى هذا يقول الله تعالى : [ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا].[2] غيبته ، ولا يسمع عليه كلاماً ، ويغض بصره عن جريمة ، ولا يديم النظر إلى خصوصياته ويتلطف مع أولاده فى الكلام ، ويرشدهم إلى ما يجهلونه من أمور الدين . ويفهمهم أن لغير المسلمين جميع الحقوق التى هى لعامة المسلمين .[3]

خامساً : حق التعليم والتعلم

١- من أهم ما أقره الإسلام الحنيف فى منهجيته السامية حق غير المسلمين فى تعليم أبناء المسلمين ، فى أوطان الإسلام ، كما أقر حق تعلمهم فى مدارس المسلمين . فحق التعليم والتعلم مكفول لجميع أبناء الوطن بالتساوى دون تمييز أو تفرقة .

٢- كما أقر الإسلام فى تشريعه القويم حق غير المسلمين فى إنشاء بيوت العلم (المدارس) على اختلاف صنوفها والتعليم والتعلم بها ، ما دامت قائمة على العلم والتنوير فى شتى فروع العلوم والمعرفة دون قيد أو شرط مادامت لا تدعو إلى فتنة أو أفكار هدامة .

---

(١) المساواة الاجتماعى فى الإسلام للشيخ حسن أيوب ، ص ٢٨٤،٢٨٥،ط المدى،الكويت

(٢) سورة طه ، ابة ١٣١

(٣) السلوك الاجتماعى فى الإسلام للشيخ حسن ايوب ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥،ط المدى،الكويت

٣-اهتمام الخلفاء فى بلاد الإسلام بالعلماء غير المسلمين ، لأن الأصل فى الإسلام ، العدل والمساواة ونبذ العنصرية ، وإذابة الفوارق بين الطبقات ، دليل المسلمين وقدوهم فى هذا المنهج ، ما أقره رسول الإسلام سيدنا محمد (ﷺ) فى حجة الوداع قوله (أيها الناس ، إن ربكم لواحد ، وإن أباكم لواحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب) وفيه التأكيد على وحدة الأصل الإنسانية مهما اختلفت العقائد .

بيت المدارس

كان لليهود العرب فى ارض الحجاز مواضع وأماكن يتدارسون فيها ويتعلمون حيث يعلمهم رجال دينهم من الأحبار أحكام الشريعة اليهودية ويقصون عليهم أيامهم الماضية وأخبار الرسل والأنبياء قبلهم ويفسرون لهم ما جاء فى التوراة وذلك لتوعيهم بأصول دينهم ونقل تراث أجدادهم وعرفت أماكن تعليمهم فى الجاهلية باسم بيت المدارس وهذه الأماكن أو المعاهد التعليمية اليهودية تقابل المعهد التعليمى للعرب الوثنيين فى الجاهلية والذى عرف باسم جدار الندوة وقد اعترف النبى (ص) بهذه المعاهد اليهودية ولم يعترض على اتخاذها أماكن للدراسة .[1]

اهتمام الخلفاء بالعلماء غير المسلمين :

اهتم الخلفاء على مر العصور بالعلم والعلماء من كل ملة ، ولقد بلغ من الحظوة عند الخلفاء علماء من أهل الملل غير المسلمة وفوضوا إليهم كثيراً من الأعمال الجسام ورقوهم إلى المناصب المختلفة فى الدولة ، وهذه نماذج لبعض العلماء :

---

(١) نظرية التربية فى القرآن وتطبيقاها فى عهد الرسول للدكتورة (أمينة أحمد حسن) ص ١٣٤ ط ، دار المعارف الأولى ١٩٨٥ م

١-حنامسنيه :

وصل إلى أرقى المناصب فى عصر هارون الرشيد حتى أن جميع المدارس وضعت تحت مراقبته .[٢]

٢-جيورجيس بن بختيشوع :

طبيب المنصور كان فيلسوفاً كبيراً علت منزلته عند المنصور فأعلى مكانته حتى علي وزرائه ولما مرض أمر المنصور بحمله إلى دار العامة وخرج ماشياً يسأل عن حاله وحينما طلب من الخليفة أن يعود إلى بلده ليدفن فيه مع آبائه وأجداده أمر بتجهيزه ، ومنحه عشرة آلاف دينار وأوصى من معه بحمله إذا مات فى الطريق إلى مدافن آبائه كما طلب .

٣-نوبخت المنجم وولده أبو سهل :

هما من أصل فارسي ، ويتبعان مذهب الفرس حظياً بمكانه عالية عند المنصور ثم كان لأبي سهل ذرية مسلمة وكانوا جميعاً منجمين ولهم شهرة عظيمة فى علوم الكواكب .

٤-تيوفيل بن توما النصرانى :

كان على مذهب الموارنة من سكان لبنان وحظى بمكانة عالية عند الخليفة المهدى ، وكان منجماً وله كتب فى التاريخ ، ونقل كتاب أميروس إلى السريانية.

٥- بختيشوع الطبيب :

كان نصرانياً سريانياً ، ولاه الرشيد ترجمة الكتب القديمة طبية وغيرها وخدم الرشيد ومن بعده إلى المتوكل وارتفع شأنه عند الخليفة هارون الرشيد .

---

(٢) من سماحة الإسلام إعداد المكتب الفنى لنشر الدعوة ص ١٠٢ ط الأوقاف سنة ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م

٦- يوحنا البطريق :

مولى المأمون علا قدره فى زمنه وأقامه أميناً على ترجمة الكتب من كل علـــم مـــن علوم الطب وغيرها .

٧- سهل بن سابور :

كان نصرانياً تولى بيمارستان جند نيسابور .

٨- حنين بن إسحاق النصرانى :

اشتهر أيام المتوكل ، وكان من أشهر المترجمين لكتب أرسطو وغيره وكـــان قـــد عرف بفصاحة العبارة وحسن الترجمة فى زمن المأمون .

٩- متى بن يونس المنطقى النصرانى :

كان متفنناً فى جميع العلوم العقلية أخذ عنه أبو نصر الفارابى وانتهت إليه الرئاسة فى بغداد .

ومن هنا يتضح لجميع الناس على اختلاف مللهم ونحلهم مدى اهتمام الإسلام بالعلم والعلماء والحكماء وسعة صدره للغريب والقريب على السواء دون تمييـــز ولا تفريق فالكل يوزن بميزان واحد . هو ميزان العلم والحكمة ، ولقـــد طبـــق الـــسلف الصالح ذلك علمياً شهد بهذا التاريخ العدو قبل الصديق .

سادساً : حق العمل

١- العمل حق مكفول لكل فرد من أبناء الوطن دون النظر إلى عقيدته ، وهو لغير المسلمين ، كالمسلمين تماماً ، فلهم الحق فى مباشرة الأعمـــال والقيـــام بـــشغل الحرف المختلفة .

٢- تولى المناصب والوظائف على اختلاف انواعها حق لغير المـــسلمين كالمـــسلمين تماماً دون تمييز أو تفريق .

٣- حق العامل فى الرعاية الصحية والاجتماعية .

- العمل مكفول لكل فرد مسلم وغير مسلم :

فلقد أعطى الإسلام كل فرد الحق فى أن يزاول أى عمل مشروع يروق له وتكون لديه الكفاية للقيام به .

وقد حث الإسلام على العمل أياً كان نوعه مادام داخلاً فى نطاق الأعمال المشروعة وأمر به ، وأعلى من شأنه ، فى قوله سبحانه : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) الآية . كما بين الحق سبحانه أن الأرض هى موطن العمل، وقد ذللها عز شأنه ، فجعلها ممهدة مسخرة للإنسان يمشى فيها ويعمل فوق ظهرها ويأكل من ثمرات إنباتها فقال عز ثناؤه : (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه)[١]

ويأمر القرآن المؤدين لصلاة الجمعة ألا يطول مكثهم فى المسجد ، وأن ينصرفوا إلى أعمالهم بعد انتهائهم من أداء الفريضة [٢] قال تعالى : [يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله] .[٣]

أجر الأجير لا يؤجل :

ولما كان فقراء الناس ودهماؤهم لا يملكون إلا قواهم الجسمية والعقلية ، وليس لهم من رؤوس الأموال إلا ما يستطيعون بذله من مجهود فقد أحاط الإسلام العمل والمجهود الإنسانى بحماية لا تقل فى قوتها عن حمايته للملكية ورأس المال ، وعلى أساس

---

(١) سورة الملك ، آية ١٥ .

(٢) المساواة فى الإسلام للدكتور / على عبد الواحد وافى ٢١ - ٢٢ .

(٣) سورة الجمعة ، آيتا ٩ ، ١٠

هذه النظرة الكريمة للعمل يحترم الإسلام حق العامل فى ملكية اجره ، فهو يـدعو إلى الوفاء به وينذر من يجور عليه من أصحاب العمل بحرب وخصومة ، مـن الله وعـدم النظر إليه يوم القيامة .

روى الإسماعيلى فى مجمعه عن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : قـال الـنبى (ﷺ) (ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة حر باع حراً وحر باع نفسه ورجل أبطـأ كراء أجير حين جف رشحه [1]).

ويطبق الإسلام هذه المبادئ على جميع أنواع العمل سواء فى ذلك الأعمـال الجسيمة والأعمال العقلية وأعمال التنظيم والإدارة .[2]

وغير المسلمين كالمسلمين فى مباشرة الأعمال والحرف المختلفة لهم حرية العمل والكشف ، بالتعاقد مع غيرهم ، أو بالعمل لحساب أنفسهم ، ومزاولة ما يختارون من المهن الحرة ومباشرة ما يريدون من ألوان النشاط الاقتصادى شأنهم فى ذلـك شـأن المسلمين .

فقد قرر الفقهاء أن غير المسلمين فى البيـوع والتجـارات وسـائر العقـود والمعاملات المالية كالمسلمين ، ولم يستثنوا من ذلك إلا عقد الربا وغيره من المحرمـات وفيما عدا ذلك يتمتعون بتمام حريتهم فى مباشرة التجارات والـصناعات والحـرف المختلفة وهذا ما جرى عليه الأمر ، ونطق به تاريخ المسلمين فى شتى الأزمان وكادت بعض المهن تكون مقصورة عليهم كالصيرفة والصيدلة وغيرها واستمر ذلك إلى وقت قريب فى كثير من بلاد الإسلام وقد جمعوا من وراء ذلك ثروات طائلة معفـاة مـن الزكاة ومن كل ضريبة إلا الجزية ، وهى ضريبة على الأشخاص القادرين على حمـل السلاح وهى مقدار زهيد ، ولم يكن فى التشريع الإسلامى ما يغلق دون أهل الذمة أى

---

(١) جامع الأحاديث للجامع الصغير وزوائده الجامع الكبير جـ٣ ص،٦٩ .

(٢) المساواة فى الإسلام للدكتور على عبد الواحد وافى ، ص ٧٩ ، ٨٠ .

باب من أبواب الأعمال ، وكانت قدمهم راسخة فى الصنائع التى تدر الأرباح الزافرة فكانوا صيارفة وتجاراً وأصحاب ضياع وأطباء بل إن أهل الذمة نظموا أنفسهم ، بحيث كان معظم الصيارفة الجهابذة فى الشام مثلاً يهوداً على حين كان أكثر الأطباء والكتبة نصارى وكان رئيس النصارى فى بغداد هو طبيب الخليفة .

- تولى بعض وظائف الدولة لغير المسلمين :

ولأهل الذمة الحق فى تولى وظائف الدولة كالمسلمين إذا تحققت فيهم الشروط التى لابد منها من الكفاية والأمانة والإخلاص للدولة .

وقد تولى الوزارة فى زمن العباسيين بعض النصارى اكثر من مرة منهم نصر بن هارون سنة ٣٦٩ هـ وعيسى بن نسطورس سنة ٣٨٠ هـ وقبل ذلك كان لمعاوية بن أبى سفيان كاتب نصرانى اسمه سرجون . وآخر ما سجله التاريخ من ذلك ما سارت عليه الدولة العثمانية فى عهدها الأخير بحيث أسندت كثيراً من وظائفها إلى رعاياها من غير المسلمين .[1]

سابعاً : حق العامل فى الرعاية الاجتماعية

لقد عنى الإسلام بوضع الأسس والمبادئ الكفيلة برعاية العامل فى كل حالة من أحواله فى حال صحته وقدرته وفى حال مرضه وعجزه أو بطالته وهذه العناية تشمل أسرته بعد موته .

وها هى أهم المبادئ العامة فى ذلك :

لقد صالح خالد بن الوليد أهل الحيرة على أمور منها : كفالة كل عامل ضعف عن العمل الكبر أو مرض أو كارثة .. وفى ذلك يقول : (وجعلت لهم أيما شيخ "

---

(١)غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى للدكتور يوسف القرضاوى ، ص ٢٢-٢٥ .

عامل " ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت حريته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما اقام بدار الهجرة ودار الإسلام . "[1]

الإسلام حب للبشرية

من أهم سمات الإسلام الحنيف التي تميز بها على سائر الأديان نبذه للعصبية التي هي أساس الكراهية ومنبع العداوات والتفرقة بين الشعوب والقبائل والأوطان والمجتمعات .ودعا للمساواة في الحقوق والمعاملات والواجبات ، وحث على الرحمة والمودة بين الأفراد والأسر والجماعات ، ودعا إلى نشر السلام والأمان ، ونبذ العداوات والمشاحنات والخصومات ، ومن الهدى النبوى لرسول الإسلام سيدنا محمد (ﷺ) ، نجد أساس الحب فى قوله (ﷺ) [والله لا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام] .

فنجد أن أساس الحب ، هو إفشاء السلام بين نبى الجنس الآدمى ، ومن عظيم صنع المشرع جل شأنه ، يوصى المسلم ويرشده إلى أعلا صنوف الرحمة والسلام [وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه].

وهنا يجب أن نمعن النظر فى عظمة القرآن دستور الإسلام مرات ومرات ، لنجد كيف قدس كرامة الإنسان ورفع شأنه فوق كل شئ بما فى ذلك العقيدة والاعتقاد ، وإن أحد من المشركين نزل به ضيم أو خطب أو خطر يهدد حياته وكيانه استغاث بك وطلب النصرة والعون منك أيها المسلم ، أجره بغض النظر عن كونه مشركاً وإنما هو إنسان صنعه الله تعالى وتسويته ، فيكفيك أيها المسلم أن تنصره وتوفر له الأمن والاستقرار لكونه إنساناً دون النظر لما يعتنق من الديانات أو العقائد ، فأصل الخليقة

---

(١) الخراج لأبي يوسف ص ١٥٥،١٥٦ط السلفية السادسة ١٣٩٧ هـ

واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، وأن الذى خلقك أيها المسلم ، هو الذى خلق المشرك والكافر وغيره والقدسية لآدميته ولنسمة التى أودعها ما عليك ، كما يجب أن نقف أيضاً وقفة بتأمل وإمعان فى قول الحق عز ثناؤه [حتىٰ يسمعَ كلام الله] لأن سماع كلام الله عز وجل ، تقشعر منه الجلود ، وتلين منه القلوب القاسية ، فإذا سمع هذا المشرك كلام الله تعالى ، إقشعر جلده ، ولان قلبه ، وهى بلوغ الغاية من السماع فى استخدام كلمة [حتى] فعسى الله تعالى أن يقذف فى قلبه نور الإيمان فيشرح صدره للإسلام ، فهو فى المقام الأول إنسان مثلك تماماً يحس بما تحس ، ويتألم مما تتألم ، أما الهداية الإيمانية فهى منحة ربانية جل الله رب العالمين .

ونبه سبحانه إلى سماع كلامه لما له من خواص فى التأثير على الأبدان والأرواح والقلوب ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ [1] .

وفى بيان قيمة رابطة الحب بين الناس وما ينعكس به من صلاح الوطن يقول (ﷺ) [لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله احب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحب إلا الله عز وجل ، وأن يكره أن يعود للكفر كما يكره أن قذف فى النار] متفق عليه .

إذن كل من يبغض الناس ليس مؤمناً حيث نفى رسول الله (ﷺ) الإيمان عن من لا يحب الناس حب لله وفى الله وهو الحب الربانى الخالى من العلل فالحب لعلة ليس بحب ولا يتحقق به المودة بين أفراد الوطن التى بها تقوى الرابطة بين أوصاله فتتآلف القلوب وتصفوا النفوس وكأنها على قلب رجل واحد فيزدهر الوطن وتقوى شوكته وتعلوا كلمته ، هذا يتحقق ثمرة للحب الربانى ، كما أنه (ﷺ) نفى فى حديث آخر

---

(١) سورة الزمر آية رقم (٢٣)

الدعوة والتبليغ عبر عنه " الإعلان العالمى " بقوله : "لكل إنسان الحق فى حرية حضور الاجتماعات السلمية والانضمام إلى الجمعيات ذات الأغراض السلمية " ، " لا يجوز إكراه إنسان على الانضمام إلى جمعية من الجمعيات "[1]، " لكل إنسان الحق فى الاشتراك بمحض إرادته فى حياة المجتمع الثقافية " [2] .

١٢- الحقوق الاقتصادية والعمالية .

إن الثروات الطبيعية بجميع أنواعها ، بل الطبيعة كلها ، والكون كله ملك لله سبحانه ﴿ لله ملك السموت والأرض وما فيهن ﴾ [3] ، وقد منح الله الإنسان حق الانتفاع بهذه الثروات فسخر الطبيعة له ﴿ وسخر لكم ما في السمَوٰت وما فى الأرض جميعاً منه ﴾ [4]وقد حرم الله على الإنسان أن يفسد ما سخر له أو يخربه ﴿ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ﴾ [5]، وليس لإنسان أن يحرم إنساناً آخر من الانتفاع بما فى الطبيعة من مصادر رزق أو يعتدى على حقه فى هذا بأى حال ﴿ وما كان عطاء ربك محظورا ﴾ [٨-٦] ومن هنا فلكل إنسان أن يحصل رزقه من وجوهه المشروعة ، أى أن يعمل وينتج فى مجال مباح ﴿ فأمشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ﴾ [7]وله أن يمتلك ما أكتسبه بجهده وعمله إذ الملكية الخاصة أمر مشروع سواء كانت على انفراد أو مشاركة ﴿ وأنه هو اغنى وأقنى ﴾ [9]وإذا كان الإسلام يقر الملكية الخاصة فإنه فى

---

(١) المادة (٢٠)

(٢) المادة (٢٧) البند " أ " .

(٣) سورة المائدة آية رقم (١٢٠)

(٤) سورة الجاثية آية رقم (١٢)

(٥) سورة الشعراء آية رقم (٨٣)

(٦) سورة الاسراء آية رقم (٢٠)

(٧) سورة الملك آية رقم (١٥)

(٨) سورة النجم آية رقم (٤٨)

الوقت نفسه يقر الملكية العامة ، ويوظفها لصالح المجتمع ككل ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فالله وللرسول ولذى القربى واليتمى والمسَكين وابن السبيل كى لا يكون دُولة بين الغنياء منكم ﴾ (١) .

وقد عبر " الإعلان العالمي " عن هذا بقوله : " لكل إنسان الحق فى التملك ، سواء وحده أو بالاشتراك مع غيره " " لا يجوز حرمان إنسان من أملاكه بغير مسوّغ قانونى " (٢) غير أن الإسلام يزيد على هذا حيث جعل لفقراء الأمة حقاً مقرراً فى مال أغنيائها ، هذا الحق لا يجوز تعطيله أو منعه أو الترخص فيه من جانب أى إنسان هذا الحق نظمته الزكاة التى هى أحد الأركان الأساسية فى الإسلام ولهذا قاتل أبو بكر الذين امتنعوا عن أداء الزكاة .

كما أن الإسلام ينهى المسلمين عن إهمال مصادر الثروة ووسائل الإنتاج أو تعطيلها، ويأمرهم بتوظيفهما لصالح المجتمع كله ، لأنه " ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها النصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة " [متفق عليه] وقد نهى الإسلام إيضاً عن استثمار الثروة ووسائل الإنتاج فيما حرمته الشريعة ، حيث المبدأ العام فى الإسلام أنه " لا ضرر ولا ضرار " إن الإسلام قد وضع الضوابط التى ترشد النشاط الاقتصادى وتضمن سلامته . من هذه الضوابط :

(أ) أن الإسلام حرم الغش بكل أشكاله " ليس منا من غش "[رواه مسلم].

(ب) أنه حرم الغرر والجهالة ، وكل ما يؤدى إلى منازعات لا تخضع لمقاييس موضوعية ، فقد " نهى النبى – صلى الله عليه وسلم – عن بيع العنب حتى يسود وعن بيع الحب حتى يشتد " [رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى] .

---

(١) سورة الحشر آية رقم (٧)

فالإسلام يحرم بيع الأشياء المجهولة وغير المحددة كما فى هذا الحديث وكبيع الطير فى الهواء والسمك فى الماء وغير ذلك مما يؤدى إلى التنازع بين الناس بسبب الجهالة وعدم التحديد للمتعاقد عليه .

(جـ) أنه حرم الاستغلال والتظالم فى عمليات التبادل ﴿ ويلٌ للمُطففين الذين إذا أكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرون ﴾ [1] .

(د) أنه حرم الاحتكار لضروريات الناس ، وكل ما يؤدى إلى منافسة غير متكافئة، فالمحتكر يستغل حاجات الناس ويربح ربحاً فاحشاً على حسابهم، و " لا يحتكر إلا خاطئ " [رواه مسلم] ، و " من احتكر طعاماً أربعين يوماً فقد بريء من الله وبرئ الله منه " [رواه أحمد] .

(هـ) أنه حرم الربا وكل كسب طفيلي يستغل ضوائق الناس ، لأنه ربح بلا جهد، ولأنه يقضى على روح التعاون ويؤدى إلى تضخم الثروات وزيادة الفروق بين الطبقات ، وكثيراً ما كان اقتراض الدول وسيلة للاستعمار وفقدان الاستقلال الوطني "[2] .

(و) أنه حرم كنز الأموال وتكديسها فى أيدى فئة قليلة من الناس لأن فى ذلك منعاً لها من التبادل الاقتصادي الذي لابد منه لحاجـــة المجتمع

(ز) أنه حرم بيع الأشياء المحرمة ، كالخنزير والخمر والأصنام والصلبان وغيرها ، لما فى ذلك من المعصية .

---

(1) سورة المطففين آية رقم (١-٣)

(2) د . محفوظ عزام : نظرات في الثقافة الاسلامية ص ٢٥٨ .

(ح) أنه حرم الإسراف فى استعمال المال ، لما فى ذلك من تبديد لأموال يحتاجها المجتمع الإسلامى ، كما حرم أن يكون التملك بوسائل غير مشروعة كالسرقة أو النهب أو الغصب [١] .

(ط) أنه حرم الدعايات الكاذبة والخادعة فى البيع والشراء ، إذ " البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما ، وإن غشا وكذبا محقت بركة بيعهما " [رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى] .

هذا ، والقيد الوحيد على النشاط الاقتصادى فى المجتمع الإسلامى هو رعاية مصالح الناس والتزام القيم العامة للإسلام .

ويتصل بالحقوق الاقتصادية أنه لا يجوز انتزاع ملكية نتجت عن كسب حلال إلا لمصلحة عامة ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالبَطل﴾ [٢] على أن يعطى لصاحبها تعويض عادل ، لأنه " من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين " [رواه البخارى] .

وهذه الملكية العامة لها حرمة أعظم ، وعقوبة الاعتداء عليها أشد ، لأنه عدوان على المجتمع بأسره ، وخيانة للأمة كلها ، " من استعملناه منكم على عمل فكتمنا فيه مخيطاً فما فوقه كان غلولاً يأتى به يوم القيامة "رواه مسلم] ، وقد "قيل يا رسول الله: إن فلاناً قد استشهد قال : كلا ! لقد رأيته فى النار بعباءة قد غلها ، ثم قال : يا عمر : قم ، فناد : أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون (ثلاثاً) " [رواه مسلم والترمذى].

---

(١) د . محفوظ عزام : المرجع السابق – ص ٢٥٩ .

(٢) سورة البقرة آية رقم (١٨٨)

هذه هى الحقوق الاقتصادية أما فيما يتعلق بالحقوق العمالية فإننا نستطيع القول بأن " العمل " شعار رفعه الإسلام لمجتمعه ﴿ وقُل أعملوا ﴾ [1] وحق العمل فى الإسلام هو الإتقان لقول النبى - صلى الله عليه وسلم - : " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه " [رواه أبو يعلى]

أما حق العامل فيتلخص فيما يلى :

(أ) أن يأخذ أجراً يتناسب مع ما يبذله من جهد من غير أن يظلم أو يماطل فى إعطائه حقه " أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه "[رواه ابن ماجه].

(ب) أن يحيا حياة كريمة تتكافأ مع ما يبذله من جهد وعرق ﴿ ولكل درجَت مما عملوا ﴾ [2] .

(جـ) أن يحظى بما هو جدير به من تكريم المجتمع بأسره له ﴿ فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ [3] و" إن الله يحب المؤمن المحترف " [رواه الطبرانى]

(د) أن يحظى بالرعاية والحماية ، فلا تستغل ظروفه ولا يظلم ، لقول الله تعالى : " ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره " [حديث قدسى ، رواه البخارى] .

١٣- حق الإنسان فى أن ينال ما يكفيه .

من حق كل إنسان أن يحصل على كفايته من مقومات الحياة وضرورالها ، من مطعم ومشرب وملبس ومسكن ، وما يلزم لصحة جسمه من رعاية وما يلزم لصحة

---

(١) سورة التوبة آية رقم (١٠٥)

(٢) سورة الأحقاب آية رقم (١٩)

(٣) سورة التوبة آية رقم (١٠٥)

روحه وعقله من علم ومعرفة وثقافة فى نطاق ما تسمح به موارد الدولة . يضاف إلى ذلك أن كل ما لها يستطيع الفرد أن يستقل بتوفيره لنفسه فعلى الأمة توفيره .

١٤- حق بناء الأسرة .

من حق كل إنسان أن يتزوج ، فالزواج هو الطريق الشرعى لبناء الأسرة وإنجاب الذرية وإعفاف النفس . ولكل من الزوجين حق قبل الآخر وعليه واجب ﴿ ولهن مثلُ الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾ [1]، وللأب أن يربى أولاده وفقاً لعقيدته وشريعته من الناحية البدنية والخلقية والدينية ؛ وهو مسئول عن اختياره فى توجيههم " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " [رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى] كما أن لكل من الزوجين قبل الآخر حق احترامه ، وتقدير مشاعره وظروفه فى إطار من المودة والرحمة لقوله تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مــودةً ورحمة﴾[2]، وعلى الزوج أن ينفق على زوجته وأولاده من غير تقتير ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قُدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ﴾ [3].

وعلى الأبوين أن يحسنا تربية طفلهما وتعليمه وتأديبه ، لأن هذا حق له عليهما ﴿وقُل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ﴾ [4] ولا يجوز تشغيل الطفل فى سن مبكرة، ولا تحميله من الأعمال ما يرهقه أو يعوق نموه ، أو يحول بينه وبين حقه فى التعلم واللعب . وإذا عجز الأبوان عن القيام بمسئوليتهما نحو طفلهما ، فإن هذه المسئولية تنتقل إلى الدولة بحيث ينفق على الطفل من بيت مال المسلمين أو الخزانة العامة للدولة

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٢٨)

(٢) سورة الروم آية رقم (٢١)

(٣) سورة الطلاق آية رقم (٧)

(٤) سورة الاسراء آية رقم (٢٤)

بالتعبير الحديث . يقول عليه الصلاة والسلام : " أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ، فمن ترك ديناً أو ضيعة [1] فعلى ، ومن ترك مالاً فلورثته " [رواه الشيخان وأبو داود والترمذى] .

لقد كفل الإسلام لكل إنسان فى الأسرة أن ينال منها ما هو فى حاجة إليه، سواء كان رعاية وحناناً أو كفاية مادية ، وذلك فى كل مراحل العمر.

وفى جميع الحالات ، وللوالدين على أولادهما حق كفالتهما ورعايتهما ، وللأمومة حق فى رعاية خاصة من الأسرة إن مسئولية الأسرة شركة بين أفرادها ، كل بقدر ما يستطيع وهى مسئولية تتسع دائرتها لتشمل الأقارب وذوى الأرحام .

" يا رسول الله : من أبر ؟ قال : أمك . ثم أمك . ثم أمك . ثم أباك . ثم الأقرب فالأقرب " [رواه أبو داود والترمذى] وفى الإسلام لا يجبر الفتى أو الفتاة على الزواج ممن لا يرغب فيه ، فقد " جاءت جارية بكر إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فذكرت أن أباها زوجها وهى كارهة فخيرها النبي – صلى الله عليه وسلم – "[رواه أحمد وأبو داود].

أما حقوق الزوجة فهي :

(أ) أن يعطيها زوجها مهراً ﴿ وءاتوا النساء صدقَتهن نحلة ﴾ [2]

(ب) أن تعيش مع زوجها حيث يعيش ﴿ اسكنوهن من حيث سكنتم ﴾ [3].

(جـ) أن ينفق عليها طوال زواجهما ، وخلال فترة عدتها إن هو طلقها ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل بعضهم على بعض وبما أنفقوا من

---

(١) أي ذرية ضعافا يخشى عليهم الضياع

(٢) سورة النساء آية رقم (٤)

(٣) سورة الطلاق آية رقم (٦)

أموالهم﴾ [1]، ﴿ وإن كن أولت حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ﴾[2] .
وأن تأخذ من مطلقها نفقة من تحضنهم من أولاده منها ، بما يتناسب مع كسب أبيهم ﴿ فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ﴾ [3] .

(د) أن تطلب من زوجها إنهاء العقد ودياً عن طريق الخلع ﴿ فإن خفتم ألا تقيما (أى الزوجان) حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ﴾ [4]كما أن لها أن تطلب الطلاق قضائياً في حدود الأحكام الشرعية الخاصة بذلك .

(هـ) أن ترث زوجها ﴿ ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم ﴾ [5] .

(و) ألا يظلمها زوجها ، بأن يهجرها لغير عذر شرعي ، أو يمسكها في بيته وهو غير راغب فيها ، لمجرد الضرر و الاعتداء ، أو يكون متزوجاً بأكثر من واحدة فلا يعدل في ميله لهن ﴿ ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ﴾ [6] ، ﴿ فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ﴾ [7] .

(ز) على كلا الزوجين أن يحفظ غيب صاحبه ، وألا يفشي شيئاً من أسراره وألا يكشف عما قد يكون به من نقص خلقي وخُلقي ويتأكد هذا الحق عند الطلاق وبعده ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ [8] .

---

(1) سورة النساء آية رقم (٣٤)
(2) سورة الطلاق آية رقم (٦)
(3) سورة الطلاق آية رقم (٦)
(4) سورة البقرة آية رقم (٢٢٩)
(5) سورة النساء آية رقم (١٢)
(6) سورة البقرة آية رقم (٢٣١)
(7) سورة النساء آية رقم (١٢٩)
(8) سورة البقرة آية رقم (٢٣٧)

١٥- حق التربية والتعليم .

إذا كان البر والإحسان في المعاملة حق الآباء على الأولاد فإن التربية الصالحة حق الأولاد على الآباء ولكل إنسان – ذكراً كان أو أنثى – الحق في أن يتعلم . وطلب العلم واجب على الجميع ، بل إن " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة " [رواه ابن ماجة] . كما أن التعليم حق لغير المتعلم على المتعلم " ليبلغ الشاهد الغائب " [من خطبة النبي – صلى الله عليه وسلم – فى حجة الوداع] .

وعلى المجتمع أن يتيح فرصة التعلم والاستنارة لكل إنسان ، ولكل إنسان أن يختار ما يتوافق مع مواهبه وقدراته الذاتية " كل ميسر لما خلق له "[رواه الشيخان وأبو داود والترمذى] .

١٦- حق الإنسان في حماية خصوصياته

إن سرائر البشر لا يطلع عليها إلا الله وحده " أفلا شققت عن قلبه " [رواه مسلم] وخصوصيات الناس حمي لا يحل التجسس عليه ﴿ ولا تجسسوا[1] " يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه : لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله" [رواه أبو داود والترمذى] .

١٧ – حق حرية الارتحال والإقامة

من حق كل إنسان أن ينتقل من مكان إقامته ويرجع إليه ، كما ان له أن يرحل ويهاجر من موطنه ثم يعود إليه ، من غير تضييق عليه أو تعويق له ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه [2]﴾، ﴿ الم تكن أرض الله

(١) سورة الحجرات آية رقم (١٢)

(٢) سورة الملك آية رقم (١٥)

وسعة فتهاجروا فيها ﴾ [1] وفي الوقت نفسه لا يجوز إجبار شخص على ترك موطنه ، ولا إبعاده عنه من غير سبب شرعي ﴿يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به و المسجد الحرام و إخراج أهله منه أكبر عند الله ﴾[2]

عناية الإسلام بحقوق الإنسان أثناء الحرب

لقد عرف الإسلام الحرب شرا واقعا بين الناس فأحاطها بأدب عام من تعيين غرضها ، وحصرها في دفع العدوان وحماية حرية العقيدة وإنهائها بالعهود المصونة العادلة و أحاطها – أيضا – بآداب خاصة في أثناء الحرب نفسها وفيما يجب أن يكون بين المتحاربين من عرف يرعونه .

ومن هذه الآداب الخاصة ما يلي .

١-إنذار العدو بالحرب

فمتى وقع بين المسلمين وغيرهم ما يستوجب الحرب ، وجب على المسلمين أن ينذروا عدوهم بنيتهم ويعلنوه بالحرب ، ويمهلوه للرد و التفاهم إن أراد فالإسلام لا يعرف الغدر و الخيانة حيث يقول جل شأنه: ﴿و إما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخآئنين ﴾ [3] وقد قال بعض الفقهاء: إن المهلة التي تعقب ما يسمي اليوم بالإنذار النهائي يجب أن تكون كافية ليخبر العدو بها أطراف أهله ودولته وهو أدب يتفق مع القانون الدولي الحديث وإذا كان هناك عهد بين المسلمين وغيرهم، ثم ظهرت علامات تدل على أن العدو يريد خيانة للمسلمين ويستعد للهجوم عليهم ،

---

(1) سورة النساء آية رقم (٩٧)

(2) سورة البقرة آية رقم (٢١٧)

(3) سورة الأنفال آية رقم (٥٨)

فإنه يجوز لهم أن يلغوا هذا العهد الذي كان بينهم وبين هذا العدو ، غير أنه لابد — أيضا — من إعلانه بهذا الإلغاء حيث لا يجوز أن يهاجموه و يأخذوه على غرة [1] .

٢-حماية حقوق المستأمن

و الإسلام بعد أن ينذر العدو بالحرب ، وبعد أن تنقطع الحجة لا يلجأ إلى مثل ما تلجأ إليه الدول في العصر الحديث من مفاجأة المستأمنين المنتسبين للعدو في ديارها رعايا الدولة أو الجماعة التي أعلنت الحرب ، فالمستأمن — في الإسلام — حقوق لا يمكن العدوان عليها لمجرد وقوع الحرب بين قومه والقوم الذين ينزل ديارهم أو يسقع من متناول سلطانهم، فلا يجوز الاعتداء عليه بمصادرة ماله أو الإضرار بعمله أو شخصه ، وله كفالة كل ذلك حتى تهيأ له العودة إلى وطنه الأصلي ويدخل في حماية قومه وفي هذه الحالة يجرى عليه ما يجرى على المحاربين قال سبحانه : ﴿ و إن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلم الله ثم أبلغه مأمنه ﴾ [التوبة : آية ٦] ..

لقد بلغ من حرص المسلمين على احترام حق المقيم في ديارهم و النازل بها عن رضا منهم قبل الحرب أو حتى أثناء الحرب ، أن قرر فقهازهم أنه يجب على الأمام إذا وقت للمستأمن مدة ألا يجعل هذه المدة قليلة كالشهر أو الشهرين ، فإن في ذلك إلحاق العسر به خصوصا إذا كانت له معاملات تحتاج إلى زمن طويل في اقتضائها .

وقد بلغ من أنصافهم هذا الأجنبي المقيم في ديارهم ، والذي يقاتلون أهله و دولته، أن أباحوا له التمتع بكامل حريته ، كأن لم تكن بينهم وبين أهله حرب ، مادام خاضعا لأحكامهم ، مستقيما في سيره وعمله ولم يركن إلى أذاهم بحال من الأحوال أقام الإسلام هذا الأدب مع المستأمن في حالة الحرب على أساس العدل والإنصاف، وما الحرب في جملتها إلا نتائج مباشرة لفقدان العدل و الإنصاف بين الناس .

---

١) عبد الرحمن عزام الرسالة الخالدة ص ١٠٧ .

٣-مسالمة غير المحاربين

إذا كان الإسلام قد أباح الحرب كضرورة من الضرورات الاجتماعية فإنه يجعلها مقدرة بقدرها ، فلا يقتل ألا من يقاتل في المعركة ، وأما من تجنب الحرب فلا يحل قتله أو التعرض له بحال من الأحوال فمن القواعد الأساسية التي بنى عليها أدب الحرب في الإسلام ذلك المبدأ السامي ، وهو الامتناع عن محاربة غير المحاربين وقصدهم بالأذى ، فهو لا يجيز قتل الشيخ أو الصبي أو المرأة أو العجزة ، أو العامة من الصناع و التجار و الزراع الذين لا يقاتلون أو العباد و الرهبان والأجراء ، أو بعبارة أعم تلك الطبقات التي يطلق عليها أسم (المدنيين) هؤلاء المدنيون لا يجوز قتلهم ، وقد بلغ من حرص الإسلام على تجنيبهم ويلات الحرب و إبعاد شرها عنهم ، وحصر الضرر في القوات المقاتلة أن الفقهاء قالوا بوقف القتال إذا وقع بين صفوف المقاتلين من لا يجوز قتله وكان هلاكه محققا بالاستمرار في القتال .

إن القرآن الكريم ووصايا النبي – صلى الله عليه وسلم – و الخلفاء الراشدين في تحريم قتل غير المحاربين لتؤكد هذا الأدب العظيم للحرب في الإسلام .

فقد روي عن أنس – رضى الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " انطلقوا باسم الله ، وبالله ، وعلى مله رسول الله ، ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ، ولا امرأة ، ولا تغلوا ، وضموا غنائمكم ، وأصلحوا و احسنوا إن الله يحب المحسنين " [رواه أبو داود] وقد أوصى أبو بكر – رضى الله عنه – أسامة حين بعثه الى الشام بقوله : " لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاه ، ولا بقرة ، ولا بعيرا ، إلا لمأكله ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع (يريد الرهبان) فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له".

وكذلك كان يفعل عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فقد أوصى بقوله :

" لا تغلوا ولا تغدروا ، ولا تقتلوا وليدا ، واتقوا الله في الفلاحين " وكان من وصاياه لأمراء جنوده : " ولا تقتلوا هرماً ولا امرأة ، ولا وليداً وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان ، وعند شن الغارات "ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (وأما من لم يكن من أهل الممانعة و المقاتلة ، كالنساء و الصبيان ، و الراهب و الشيخ الكبير ، والأعمى ، و الزمن ونحوهم فلا يقتل عند جمهور العلماء ، إلا أن يقاتل بقوله أو فعله) .

٤ – عدم القسوة عند التمكن من العدو

ليس المقصود من الحرب في الإسلام التنكيل و التخريب ، بل أن تكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الله لا تكون إلا حقا وعدلا و إنصافا شاملا للناس جميعا ولهذا جعل من آداب الحرب مبدأ الرفق و الرحمة ، فلا يجوز التمثيل بالمقتولين ولا الإجهاز على الجرحى ولا تتبع الفار من الحرب ولا قتل الحيوان ولا تخريب العمار، ولا إفساد الزروع و الأشجار ولا تلويث المياه ولا هدم البيوت ، وذلك لأن الحرب كعملية جراحية لا يجب أن تتجاوز موضع المرض بمكان .

٥–الإحسان إلى الأسرى

من أدب الحرب في الإسلام الإحسان إلى الأسير حتى إنه جعل من المستحقين للبر ، متساويا في ذلك مع أيتام المسلمين و فقرائهم قال تعالى: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا و يتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ﴾[1]

ومن الإحسان إلى الأسير أن لا يفرق في الأسر بين والد و ولده ولا بين أخ و أخيه، ولا أن يقتل أسير ، و أن يعامل معاملة طيبة .

---

(١) سورة الانسان آية رقم (٨)

التراحم بين المسلمين

الرحمة هى أخص صفات الإسلام والمسلمين وهى الغاية الكبرى من بعثة نبي الرحمة محمد ﷺ وبها عمومية الرسالة فى قول الحق جل جلاله ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ ١٠٧ :الأنبياء .

ورحم الله القائل لو تراحم الناس ما كان بينهم جائع ولا محروم ولا مغبون ولا مظلوم ولمحت الرحمة الشقاء من المجتمع كما يمحو نور الصبح ظلام الليل .

والرحمة هى السمة التى جاءت فى مقدمة ما وصف الله تبارك وتعالى به المؤمنين فى جملة المكارم والمحامد بقوله جل شأنه ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ ٢٩ :الفتح .

فتأتى الرحمة أولى الفضائل والمكارم (رحماء بينهم) أشداء على الكفار حال اعتداء الكفار عليهم أما فى غير ذلك فلا فإن لهم ما لنا وعليهم ما علينا فى القيمة الإنسانية أما فى العقائد والديانات قال الحق تبارك وتعالى على لسان رسوله الكريم ﷺ ﴿ لكم دينكم ولى دين ﴾ والرحمة هى من أبرز مزايا الدين الإسلامي الحنيف وهى صفة لله تعالى التى وصف بها نفسه سبحانه فى مواضع كثيرة فى القرآن العظيم وأحب من عباده الرحمن وسمي نفسه الرحمن الرحيم فهى من مشتقات إسميه الرحمن والرحيم وأوجب على المسلم الإبتداء بهما فى فعل كل أمر وفعل من أمور الحياة بقول (بسم الله الرحمن الرحيم) . وقال رسول الله ﷺ (كل أمر لا يبدأ بإسم الله الرحمن والرحيم فهو أبتر) أى لا بركة فيه ومما يسعد به المؤمن أن الرحمة هى أولى ثلاث كتبهن الحق سبحانه على نفسه هى ﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ﴾ ﴿ أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان ﴾ ١- ٥٤ : الأنعام. ٢- ٢١ : المجادلة . ٣- ٢٢ : المجادلة .

وجاء في الحديث الشريف قوله ﷺ (أن الله تعالى يوم أن خلق الرحمة خلقها مائـة جـزء فأنزل الأرض جزء واحدا وأمسك عنده تسع وتسعين جزئا يرحم بها الخلائق يوم القيامة فمن ذلك الجـزء الذى نـزل الأرض تتراحـم الخلائق فيما بينهـا حتى أن الدابـة ترفـع حافرها عن ولدها خشية أن يصيبه الضرر) متفق عليه. هذا هو حال الحيوان في الرحمة فكيف بالإنسان الذى لا يرحم صغيرا ولا يوقر كبيرا ولا يرحـم خلق الله أطفـالا صغـارا وشيوخا كـبارا ونسـاء ضعـافا يفـجر نفســه كفرا ويقتل الأبرياء ظلما منزوعة من قلبه الرحمة وقد أخبر الحبيب المصطفى ﷺ (لا تنزع الرحمة إلا من شقي) الإمام البخـــارى ومسلم.

وكفى بالرحمة فخرا أنها أولى الثلاث التى كتبهن الله تبارك وتعـالى على نفســه ﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ ٥٤:الأنعام .

وقد قـال رسول الله ﷺ (لا تنزع الرحمة إلا من شقي) الإمام البخارى .

والرحمــة هى التلطـف بالخــلق والشفقــة بهــم والعفو عن زلاتهم فكيف تبدلت نفوس المسلمين وأحوالهــم من الـهدى والرشاد إلى الضلال والفساد و الشقـاق و العنـاد والتـنازع و العداء والتفرق والبعاد وقــد حــذر الحق تبارك وتعالى من كل هذا جميعه بقوله ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ ٤٦:الأنفال .

كما دعا الأمة المحمدية جميعها إلى الإعتصـام بعـهد الله الأول الـذى قطعه علـى الخليقة يوم أن كـانـت نسمات فى عـالم الغيب يوم (ألست بربكم قالـوا بـلى) فقـال جل شأنه ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ ١٠٣:آل عمران .

والحبل هنا بمعنى العهد وشبه العهد بالحبل تشبيها لشتات الأمة حال تناثر الحبل عند تفكيكه مثـل الغـزل .

﴿ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ﴾ ٩٢:النحل أى حال نقضها خيط الغزل الذى غزلت يطبح متناثرا ضعيفا بعد أن كان متماسكا قويا.

وشتات الأمة وتنازعها يبدل المحبة والرحمة والوفاء ويستولى الطمع على النفوس ويصبح الكيد بين المسلمين يتجرعونه كؤوس فلا تراحم بين كبير ولا صغير ولا تعاطف على ضعيف ولا فقير .

وقد بين نبي الرحمة في الحديث الشريف بقوله ﷺ (الراحمون يرحمهم الرحمن).

وقال ﷺ (ارحموا تراحموا واغفروا يغفر لكم).

فما بال القوم نزعت من قلوبهم الرحمة ونسوا الله فأنساهم أنفسهم فهانت عليهم أرواحهم خروجا علي الإسلام وتعاليمه السمحاء وخروجا على تعاليم رسول الله ﷺ القائل (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء).

فهل لنا أن نستيقظ من غفلتنا ونرجع إلى سماحة ورحمة شريعتنا وأن يرحم بعضنا بعضا حتى يرحمنا الله جل شأنه وهل نقتدى برسول الله ﷺ الذى سماه ربه بالرحمة فى قوله سبحانه ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ ١٠٧:الأنبياء .

ومن صفاته ﷺ ﴿ بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ ١٢٨:التوبة .

وسمي الغيث (المطر) رحمة لأن به صلاح الأرض وحياة الكائنات وقوام الوجود وعمارة الأكوان وحياة الإنسان بل المخلوقات جميعا ولو علم الناس ما فى التراحم من فضائل ومكارم لكانوا كلهم رحماء ولمحت الرحمة الشقاء من المجتمع ولتبدلت العداوات إلى محبة وإيخاء وطهر ونقاء وصدق الحق سبحانه إذ يقول ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ﴾ ٥٧:النساء .

ومما يجب أن يعلمه شباب الأمة الإسلامية خاصة هو العلم بمقاصد الشريعة الإسلامية السمحة وهو ما أجمع عليه الفقهاء والعلماء واتفقوا عليه فى ما يعرف بالكليات الخمس وهى :-

١- حفظ النفس .

٢- حفظ العقل .

٣- حفظ الدين .

٤- حفظ العرض .

٥- حفظ المال .

هذه هى المقاصد العامة للشريعة الإسلامية التى أجمع عليها الفقهاء ويجب أن يعرفها الخاصة والعامة وأولها حفظ النفس فكيف تهون النفس ويقتل الإنسان نفسه ويقتل غيره من الأبرياء وكيف تهون نعمة الوجود التى منحها للإنسان الخالق المعبود جل جلاله فمن واجبنا أن ننبه الغافلين ونذكر الناسين بمنهج رب العالمين﴿ فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ وصدق الله العظيم المنزل فى كتابه العزيز ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ﴾ وصدق رسوله الكريم القائل (ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء).
وهذا مسك الختام والصلاة والسلام على خير الأنام وآله وصحبه الطيبين الكرام ...

خادم القرآن

محمد محمود عبدالله

مدرس علوم القرآن بالأزهر .

الفهـــرس


(ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما)
تحريم الإرهاب
فى
صحيح السنة والكتاب
بقلم
محمد محمود عبد الله
مدرس علوم القرآن بالأزهر

